





إنها سمفونية الصورة الشعرية، التي تتألق بغرائبيتها وبصوغها الجميل وبمعجمها الذي غالبا ما يمتح من الحقل الدلالي للطبيعة، كما هو الشأن في هذا المقطع التالي، الذي تكتظ فيه الصور الشعرية على عادة قصائد الديوان، يقول الشاعر:

أقدام البحر تخشى السفر
فأنصب أشرعة الرحيل
على حد البرق
الموغل في العتمة

هكذا نلاحظ أن الصور الشعرية استحمت مع أقدام البحر بسطوة الطبيعة، حتى وإن كان تخشى الرحيل، عكس الشاعر الذي ينصب له أشرعة على حد البرق، الذي يلمع فجأة في عمق الظلمة الكثيفة، تلك التي قد تحد البصر لكنها أبدا لا تحد البصيرة. إنها الصورة الشعرية حين تصبح مدمكا للشعر وأساسه ولبنات يبني بها الشاعر قصيدته، غير هياب من تجاوز الذائقة الشعرية التقليدية، حتى وإن لم تستسغ هذا النوع من التعاطي الشعري المعاصر.



حسن العاصي













دار نشر
مكتبة جزيرة الورد
www.gwbook.net
E-mail:tokoboko_5@yahoo.com



خلف البياض

ن ص و ص

حسن العاصي

HASSAN ASSI

خلف البياض

نصوص نثرية شعرية

حسن العاصي

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل أي جزء من هذا الكتاب،

بأي وسيلة كانت، إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر.

Behind the whiteness

Prose poetic texts

Hassan Assi

Copyright reserved

It is not allowed to print, copy, photograph or record any part of this book.

By any means, except after obtaining written approval from the publisher.

Behind the whiteness

ISBN13: 978-87-972606-9-2

ISBN10: 87-972606-9-X

EAN: 9788797260692

Hassan Assi

Omslag: Painting by the plastic artist Mohamed Al-Rakoui

Udgivelsesdato: 2014

Copenhagen

Forlag: Hassan Assi

Originalsprog: Arabisk

Udgave: 1

Sidetal: 224

إهداء

إلى العابرين في غبش الليل

حين كانت تتشقق ظلالكم

كانت أصابعكم تولد

من رحم الرحيل

حسن العاصي

تقديم:

في رحلتها الطويلة منذ انطلاقتها البكر في صحراء العرب، مرت القصيدة العربية بمراحل عدة، استغرقت في بعضها زمنا طويلا، كما حدث مع طغيان عمود الشعر كمعيار للصوغ الشعري، فعمر طويلا، وحدد الذائقة الشعرية العربية، بل أثقلها بكثير من القيود، التي قد تكون قد أفادت الشعر العربي في بعض النواحي، كتحصينه من الضعف والركاكة مثلا، لكنها من جانب آخر ضيعت عليه الكثير، وخاصة الانطلاق نحو الأفق العالمي الرحب، الذي كان -بلاشك- سيضيف لها الكثير، غير أنها في غياب ذلك ظلت محافظة على محليتها بكثير من الإصرار المبالغ فيه، ولم يتأت لها بعض من الانفتاح إلا مع قصيدة التفعيلة، التي سمحت لرياح التغيير بأن تهب على الشعر العربي، بسبب المثاقفة مع الغرب بالخصوص أولا، وبسبب التحولات الاجتماعية المتسارعة في القرن العشرين ثانيا، تلك التحولات التي لا يجادل أحد في تأثيرها العميق على الإنسان العربي، بما في ذلك ذوقه الفني والشعري.

ومن حسنات قصيدة التفعيلة أنها فتحت الأبواب واسعة لقصيدة النثر، التي ورثتها جماليا، لتذهب بعيد في الاغتراف من معين الشعر العالمي الذي لا ينضب، لتطال القصيدة العربية نتيجة لذلك تحولات عميقة طالت بنيته وبناءه، ومست لغته وإيقاعه، وأثرت على فلسفته ورؤياه.

وفي رأيي المتواضع أن أهم فتوحات القصيدة النثر المعاصرة اهتمامها بشيئين مهمين في غاية الأهمية، وأقصد بهما الصورة الشعرية، التي أضحت مكونا أساسيا ومحوريا في بناء القصيدة، والانتقال من سيطرة البعد الشفاهي على القصيدة إلى الاهتمام البعد الكتابي، الذي أخذ تدريجيا يفرض سطوته على جميل القول، أقصد الشعر.

ولعل التجربة الشعرية للشاعر حسن العاصي من خلال ديوانه هذا الذي ارتضى تسميته "خلف البياض" تبرهن إلى حد بعيد على ما ذهبنا إليه بخصوص الصورة الشعرية، التي تبدو من خلال قراءة أولية للقصائد أنها مهيمنة بشكل كبير على بناء النصوص، فلا يكاد المتلقي يتجاوز سطرا أو سطرين حتى يفاجئه الشاعر بصورة شعرية اجتهد في جعلها قوية وأخاذة، حتى ليمكننا الحديث مع هذا الديوان عن إيقاع الصورة الشعرية، الذي يبدو أنه يعوض تدريجيا الإيقاع التقليدي بنوعيه الخارجي الممثل في البحر الشعري أو التفعيلة والإيقاع الداخلي الذي يتجسد في محسنات البديع ، كالجناس والطباق و السجع وغيرها.

وتتميز الصورة الشعرية في الديوان بخصائص أهمها عدم الركون إلى التشبيهات التقليدية المعرفة، كما أنها تمتح من تصورات فنية وفكرية متنوعة كمدرس العبث واللامعقول مثلا.

ويمكن أن نأخذ بعض النماذج، التي تدل على هذا التناول المختلف للصورة الشعرية، والذي يراهن على الذهاب بعيدا بالخيال إلى الحدود القصوى المفترضة، يقول الشاعر:

تفور النقاط والفواصل

وتتلاطم الكلمات

يعبرني بخار الوجع الكامن

وتشتعل البحار.

فلنتأمل هذا الصراع المضطرم في جوف الكلمات والنقاط والفواصل، وكيف لبخار الوجع أن يعبر الشاعر، لتشتعل البحار. هكذا يخاطب الشاعر من خلال صوره الشعرية لا شعورنا الكامن مستخدما لغة أقرب إلى لغة الأحلام، التي لا يتأتى تفكيك رموزها للجميع.

وفي صورة أخرى تمضي على نفس النهج، يقول الشاعر:

في البدء كانت النوافذ

بلا ظلال بلا ذاكرة

وكان النهر إرث المزارعين

والنوارس تمزّق الماء

وتبعثر صيحات الأطفال

وكانت الميادين تستحم

بالأسماء المعلّقة

لا بد ان القارئ ستستوقفه غرابة الصور الشعرية الكثيفة التي يتضمنها هذا المقطع من القصيدة، وحتما سيفتتن بذاكرة النوافذ لأنها تحيل على بعد رمزي حابل بالمعاني وظلالها المتوارية في أعماق الدلالة، وحتما سينشغل بتلك النوارس التي تمزق صفحة الماء وتبعثر صيحات الأطفال، في الوقت الذي تأبى فيه الميادين سوى أن تستحم، نعم تستحم لكنه ليس أي استحمام إنها تستحم بماء الأسماء المعلقة.

إنها سمفونية الصورة الشعرية، التي تتألق بغرائبيتها وبصوغها الجميل وبمعجمها الذي غالبا ما يمتح من الحقل الدلالي للطبيعة، كما هو الشأن في هذا المقطع التالي، الذي تكتظ فيه الصور الشعرية على عادة قصائد الديوان، يقول الشاعر:

أقدام البحر تخشى السفر

فأنصب أشرعة الرحيل

على حد البرق

الموغل في العتمة

هكذا نلاحظ أن الصور الشعرية استحمت مع أقدام البحر بسطوة الطبيعة، حتى وإن كان تخشى الرحيل، عكس الشاعر الذي ينصب له أشرعة على حد البرق، الذي يلمع فجأة في عمق الظلمة الكثيفة، تلك التي قد تحد البصر لكنها أبدا لا تحد البصيرة.

إنها الصورة الشعرية حين تصبح مدمكا للشعر وأساسه ولبنات يبني بها الشاعر قصيدته، غير هياب من تجاوز الذائقة الشعرية التقليدية، حتى وإن لم تستسغ هذا النوع من التعاطي الشعري المعاصر.

- مصطفى لغتيري

أديب وناقد مغربي

أجنحة الظلال

لا تضاريس في الحروف الهزيلة

لا مكان في الدروب الصماء

الحديد يداعب الجلود الجافة

والجراح الرطبة

تئن بملح البدايات

فرغم انفلات الرحاب

مرصود هذا الهذيان

بشق الاحتضار

تفور النقاط والفواصل

وتتلاطم الكلمات

يعبرني بخار الوجع الكامن

وتشتعل البحار

تتمدّد رائحة قلبي المختلج

وتتكسر

فينسكب الأسى قيداً

يحصدني كزهرة الدعاء

بلحظة الانشطار

أقتفي أثر الزفير المكتوم

في غصة العتمة

أتسلّل بين النشيج

ممتطياً جناح الصوت المبحوح

كأني أمضغ لحمي

وألملم ما تناثر

من الشظايا المحترقة

فأي تيه يمطر جمراً

وأي قطف يبتر وريد النهار

كيف لك أيها المرابط

في صوتي

أن توقد من خمرة البياض

شلالاً للفراش النائم

أنا مثلك

أتلو على البحر

تيجان الدمع

لتلوك حواف الصبح

وحدي أتدلّى

على حد النصل

كخيط الكحل

في أجنحة الأسفار

من أين تأتي رسل الأحزان

وقوافل الخوف

ومن أين لعينيك

صوت المواويل

حسبك فراغ بطعم العيد

يصفع لسان الفرح

كن للفجر موعداً

ومدٌ شهقة الولادة

فوق توابيت الانتظار

الشتاء القادم يمطر

خلف نوافذ النبوءة

والصغار يتوسلون الشمس

طيور الصباح هاجرت

بساتين التين

والمدينة تغمض عيناها

يبدأ الموت من هنا

تتدثر الشوارع بالدم

أطوف خلف الأسوار العتيقة

يتدلُّى لسان الوالي

فوق الضلوع المصلوبة

على رماح الأنين

في آخر جدار

في البدء كانت النوافذ

بلا ظلال بلا ذاكرة

وكان النهر إرث المزارعون

والنوارس تمزق الماء

وتبعثر صيحات الأطفال

وكانت الميادين تستحم

بالأسماء المعلُّقة

في البدء

كان ظلي يتشقق

وتولد أصابعي

من رحم النبع

وكانت الذاكرة

كشواهد الأضرحة

جاثمة

في زهر الصبّار.

أحداث من صمت

أقدام البحر تخشى السفر

فأنصب أشرعة الرحيل

على حد البرق

الموغل في العتمة

غارق أنا في اللّيل

المتعب بالتفاصيل

منكسر في الموج

يقذفني الوجع

من ضجيج الماء

إلى القبور

يصطف المولودين

في ظلال الزيتون

يركعون في طلّة الفجر

تجهش بأكفّهم المآذن

يصدّون جرح البارود

ويقتسمون الجوع

قبلة قبلة

ويتطهرون بالماء

وبالماء يحلمون

ويتوحّدون بالجذور

في تلك الغرفة الرطبة

كنت أحل

ضفائر المسافات

أقرأ حتى الفجر

رواية من ظل ضلوعي

أمير من فجوة الحرف

الرقراق أتسلل

لا تاج لي ولا وسام

لكنّي أرسم مملكتي

من ورق التوت القرمزي

والقص المأثور

على وقع أوراق الرواية

أعدو على جثتي

أبتلع الأنين المكتوم

ألج في الرأس المثقوب

كأنني خلف مروج الأماني

وأخرج منه قتيل

في اشتعال الظلّ

أبرأ من الخطايا

يا رب اغفر لي

هذا أنا تناثرت

لكني باق

طيفاً منذور

على شرفات التعب العمياء

أمضيت مواقيتاً بلا أسماء

بلا ملامح بلا ألوان

أكتب حتى الموت

قصيدة من صمت

أجهض ميلاد الخرافة

في الأصل كان الناي

حين ضاع الكلام

أترك أشلائي وديعة

في ذمة حفار القبور

قد أعود

لكن

في مواكب التشييع

كالورد المنثور.

استدراك

نوافذ الأحلام ضيقة

وأنا واسع

وسع هذا الخراب الكبير

ألملم الخطى وأسير

أسحب خلفي

الأناشيد والفصول الوردية

زيت السلطان

وكل خطوط التماس

أنا حكايات الريح

أرسم على صفحات الرمل

فماً للوعد

يستمطر الغيم

ظلاً لكل العابرين

لا ترحلوا بعيداً

عودوا غداً

أو بعد غد

ربما في مواسم

اليباس

إنها غابتنا تحترق

كنت هناك ذات مرة

في المدينة وحدي

وأنا هنا هذه المرة

في غمرة العصف

وحدي

بليد وجه الشرخ

لكني أرى أنوفاً

كالحراب في وجوه

الناس

استدراك

هذا اليوم لن نرى الشمس

ربُّما نراها لوقت

سترحل

كما غابت زهرة البرتقال

أشعر بهلوسة يقولون عنها

دوار البحر المتوسط

تختلج العصافير في صدري

تسع ساعات ربما تسع قرون

مضت على قراءتي الفاتحة

أقرئها الآن مرة أخرى

وقد أكملت تعبي

وتجرّعت مرّ الكاس.

أسوار الراحلين

ذات رزح

تخطّت الخيبات حدود الأطراف

متى يهطل الوقت

ونبتلع الأرق

فلا تسائلني إذ ما هدأ الغمام

صدىً للهزيمة

وجنى الضباب

ملامح القتلى

تحاذي الشفق

نثر اللُّيل سياط الأشجان

تقف الدماء خلف

أسوار العيون

ويبني الصمت

ضريح الراحلين

فوق كل قبر
بضع حبق

تنزف العيون
كرات لامعة
تمدُّ ما ظل من أرض
تنوح وقد أعيتها
حُجة تقطف الموت
وتحفر ما بين الدمِّ والدَّم
ذاك النفق

في لظى الصلاة
تنطفئ الوجوه
وتنبت شقائق النعمان
على الدم السادر
تعبر النسوة
بيادر الحصاد
صدروهن وطئ لكل
قابض قد خفق.

اعتراف

ما الذي يبكينا؟

أهي الضفائر التي رحلت

أم الأحلام التي احترقت

أم هي ابتسامات الصغار

قبل الفجر ذبحت

يا قهرنا الأبدي

موتورة مدن الرجوع

عند تقاطع العتبات

كأنها بين أحضان النصال

ورق الشجر

غالته الريح الغضوب

لأننا نعلم أن حزن العيون

أمرّ من النبت السام

لأننا ندرك أن دموع القلوب

أطهر من قراح الماء

ربما لأننا نعلن عجزنا

نبكي

فقريرة الحزن

كالشهب تولد

من هشيم السقط

السر المدفون في العيون

يفضحه بياض القلوب

للحزن ريح

تمحو رسوم الصغار

على خدٌ الرمل

ناديت عليك يا بلادي

لكنك صمّاء

وحين اختنق صوتي

في أضلعي

علمت أنك السروب

أيا ارتعاش التاريخ

يغزل من حقول الملح

أوردة

تفتح جباهها مطراً

للدمعة الأولى

تتلمّس الندى

فماذا إذا برّحت

مواسمك أوردتي

واستباح التنطع قدمي

حين يشفق الشوك

من خطاي

ونشجت مني الدروب

تنتصب شواهد الموتى

بين عناقيد الكروم

والصنوبر الحزين

تشير صبايا الحي

في المساء الأخير

إلى نعش صبي

رأيته قبل رحيله

مبتسما كملاك

بعيد أنا

وهو في طهر

الأبيض يؤوب.

الأمير قيسون

خمسة مواقيت للأدعية النائبة

واحدة لألواح الزمن

تكتب عليها الغصص

واحدة لمن ألقى عليه الدهر

رداء الهموم

واحدة للتائهين

في الدروب الطويلة

واحدة للأغصان السكرانة

في عطرها

وواحدة إلى أقصى رعشة

تقطفها مهر قيس

زهرة ثكلى مسفوحة

على الحمم

تلوح من بعيد

على بعد رحيلين

من الموت أو أكثر

عربة بيضاء

تجرها خيول صهباء

يجلس فيها الأمير قيس

يأتي لهات الخيل

مرٌ كالرماد

تأبى الدروب حدوها

والطرف فيها مضطرم

إلى أين تمضي

والريح نشيج

والأزرق لون الموت

على عتبات الشمع

والأمير قيس

يصغي لأنفاسه

وقلبه رهم فطرته

تحاصره الرمال

ويخونه الماء المرابط

في الجسد الترابي

الرحيل الرحيل

أضنى فيه كل طرف

كليل

ونال منه السقم

ثلاثة مواقيت لصلاة الغائب

واحدة لبكاء قيس

حين أحرقه الوجد

فأبكى القوم

واحدة للخيل تطاعن

وجه الشمس

واحدة حين تشقُّقت يداه

بما نبت فيهما

يسكن إلى ظلُّه

في الرمل

والفؤاد مثل التأويل

منقسم

كأن النجوم دموع

كأنٌ الأحلام سراب

آه لو خبأت منها قليلاً

يا صاح

قد تعبت ولم أقدر

انجو بنفسك

قبل أن يغتالك

ظلُّك

يا أمّاه الشهد أضحى

في حلقي حنظلاً

والروح تمقت النعم

في اليوم الخامس

انقبضت عيناه

سواد في بياض

رأى الله ينبت زهراً

في الحطب

يا الله كيف يموت قلبي

في اليوم السابع

فارق الحياة

كل مردود لأصله

كأن الرحمن

بالجسد الهزيل رحم

قيل إن الأمير قيس

غالبه حزنه

وأعياه المرض

فهجر العباد والإمارة

فهرب من أهله

يلوذ برمل الصحراء

يتعقّب أثرها

بعد رحيلها

حتّى أحرقه وهج الشمس

وابتلعت جسده الرمال

فسقط يحتضر

قبل زهرة الخزامى

بسبعة خطوات

وكان مبتسماً.

التراب المقدّد

أطوف البلاد بأحلامي

أجوب مدنها بدمعي

شارعاً شارعاً

هناك حيث كنا اثنان

كبرنا على مفترق

بين منفى ومنفى

سفطت من أيدينا البراءة

عند اختلاط الرصيف

هي انعطافة لما سيبقى

أرحل في عبق الجسور

يطوف جرح كبدي

على الأغصان القتيلة

أعياني البرد

فخذ ليمون قلبي

ذاك الذي لا يرد ولا يتوسم

أنا المعوز

ما سجدت لي النجوم

لكنٌّي ولدت شجرة تين

ملاذاً لنبي كفيف

تقسم كل العواصم

أن يظل الظلم قائم

هي انعطافة نحو يداي

أنا المنكسر ألوذ بالعظم

أقدامي غائرة في النهايات

فسلام عليٌّ وسلام على

من ينسج في غفلة القهر

وشاح

لليباس المتورم

في عنق الضعيف

تتبدّل وجوه القادمين

في الفصول

تكتسب لون الأقدام

يستيقظ التراب المقدٌد

في الشتاء

والربيع جرح شاخص

نحو القمر

في قيظ اللُّيل نمخر

بحور الضوء نحو الله

ننسى أسماءنا

على جذوع السنديان العتيق

ونمتطي قرون الخريف

تودع نهاياتنا البدايات

وتحفظ ذكرانا

في نبتها الحقول

لا تموتوا بعيدا عن

أرصفة الضياع

فما بين احتضاري وقهركم

مسافة سوط

مدد مدد

هاتوا ندوركم

إنُي أبسط كفي

فمدّوا بآخر العظام الباقية

زاداً لباب الرحمة الوليف

انفلت البارود

قبل ارتداد الموجة الأولى

ينهش توت الحدائق

استحال الوقت غبارا ورماد

قالوا هو مأوى للمارقين

وللصعاليك والزناديق

اقتلوه

على حدود القهر

أو أبعد

من ذاكرة التحريف

سقط وجهي وفمي

بترت يدي وطعن ظهري

وعقر زمني المغلق

والآن أنا هنا وحدي

ألتمع في حزن وأنطفأ

لكنٌي لم أنكسر

ومازال جناح قلبي ينتفض

وروحي كالحصن المنيف.

الرغيف الجائع

تيجان الجفون مترعة بالأحزان

والقلب الصغير شجي الخفق

من خلف نوافذ الزبد في الحواشي

أسترق النظر إلى طائرات الورق

تحلُّق بعينين يكبلهما الرصيف

أيها الموشوم على يقظتي

صلاة للمتعبين

أية حمى تقطر رائحة الأطفال

ينهار كل شيء

المدن والقرى

المقابر وابتسامات الصغار

تهرب الجثث وتحتمي بطين الرحمة

تطوف الطرقات بالأضرحة

الشواهد قرنفل

والقبور رياض ريحان

والفجيعة موشومة على الرمال

ليلى عند مدخل الجراح
تمدُّ يداها إلى عرش الغبار
وتندثر في صياح الماء
كان النهار يموت
والخبز الجاف موعد الاحتضار
هي سر الصلاة الأولى
حين تشتعل شظايا الموت
في شهقة السؤال

بلا صباح
تتسلُّل رائحة الخبز المنكسر
فكيف لنا ونحن المكسورون على أعتاب البحر
أن نقبض على العيون الفارغة
نغتال الوقت كي نمر
نوقظ المواويل
أرجوحة النوافذ المغلقة
هذا الصباح لا ماء فيه يلامس الحزن
ولا ذاكرة تعاقر الموج
هنا نقف عراة
كالوتر في الظلال

إلى أين تقود الدروب الحافية ؟

لم يبق هنا أحد

أدخلوا قبل هبوط الملح

لن تجدوا في الصحراء ماء

ولن يكون الموج لكم مسكناً

فنحن نبشّركم بوطن من سراب

وتسع عجاف هزال

كان يا ماكان

كان النارنج ومناديل النساء

كانت المآذن تغفو في فيء الياسمين

تستدفئ الرغيف الجائع

فأصبحت الصدور تهجر نحو الموت

سلاماً لبحر يرتشف ماء العيون

سلاماً للتراب المبتل بالأنين

سلاماً لمن يرتلون أوردتهم

شهداء لا تكفن بنشيد

ولا تودعهم الحناجر بموال.

الصراخ المشنوق

أيُّها المتدثر بالليالي الندية
باق أنت كنخل متمرد
فأنت الموشوم في طهر العيون
أيها النور الراقد في جوف الحرقة
امسك يدي كي نتوحَّد
في الاحتضار

أيها المولود من الرؤيا
هذا الماء يبكي
يسترق شهقة الولادة
والمواسم لا تعبر إلّا بماء المقل
أنت وحدك أرحب من مسافة الموت
كما الأساطير أنت تهطل ماء
حين تغرق البحار

أيُّها الآتي من سماء النذر
قادماً من انشطار الصرخة

بعد تسعون طعنة

تستجير بالتهجد

ففيه مأوى القانطين

وملاذ المظلومين

للغرباء والدراويش

وعشاق المشوار

أيها المبعوث موجاً

من رحم السوسنة

نبت من ألم

تنسدل سعف الغيث

تتدلى

والجذر ظلال شائخ

لكنك تنتصر على الحمم

يغسلك الليل مرتين

وتغادرك الأنهار

أيها الرّاسخ كالرمل

الثابت كالنخل

تعري الريح عظامك

وبحرك على الأرصفة

يتيم لا مولى له

تتصفح خرابك دمعة فدمعة

وصراخك مشنوق كالهمس

المبتل بالألم

وحدك تلتحف اللحد

وتصلّي قبل التراب

ثم تغفو على خد الأزهار

تحنط وجه الصمت

أسدل الرصاص ستائر الأشلاء

الأرض مازالت ظمأى للحمم

ليس سواك

تتلوى في حمى الألواح المقفلة

ليس إلا أنت

والفجر أمامك جلال مسجى

لو أن الوقت ينكفئ

لو أن الفجر نبتاً يتناسل

أو يموت

لو أن العشب العاري يرتدي العتمة الأخيرة
وينكئ زلال الأثمار

يعربد الجند سكارى
فوق رؤوس الأطفال
والمشانق تتلوى ساحات انكسار
والوجع ليف كبريتي
يمتد حول أعناق النساء
ما بين الشهقة والطلقة ألف موت
رباه
هذا الدمس
والجراد يتربُّص الدروب الضيقة
هناك دمي يتلو فاتحة الأسفار.

الطفح الأصفر

أمطرت العتمة الضبابية

طفحاً أصفر على تخوم الموت

انتشر الهلع

وهرب الناس إلى المقابر

كان الرعب ينسدل

كما الدم المتجمد في الطرقات

أضحت المدينة حقلاً للذبح

ويُغشى وجه البلاد

أقف على عتبات الميدان

أحدق بعيون القتلى

أنا الميت الحي

أعبر غدير الموت

أنا القهر طريد الخيام

رأيت فرق الموت تستعرض الدم

ورأيت الناس يموتون

متصلبين كالأعمدة

وآخرون يختنقون

كان القتل كثيراً فبكيت

حتّى سفطت الظلال

فوق قيود الرماد

في الدروب الضّيقة

كانت النسوة تصرخ

البحر البحر

للدموع جدائل من النور

تومض حد الأقحوان

تترصّد العيون اختلاجات الاحتضار

هسيس الضوء أصنام

تستوي على الجدران

أنا الفراشة حضن الجدات

واسع كحزن العباد

مسكون بنزع الوجد

ما عاد متسع للفرح

للقادم موتان مثل اسمه

حين تسقط أوراق الورد

شاحبة كالهشيم

قالت صبايا الحي

أبوه مات بثلاث رصاصات

أمه فارقت بينهم

الحبيبة أقعدها البكاء

في المساء أبصروني

أشرٌع صدري للسماء

كنت أنتحب

قالوا..

رحل يحتضر كمداً

يتشح السواد.

النبت العاري

أمطرت السماء شمعاً أزرق

تفوح منه رائحة الموت

أقبض على هذا التواصل

ثمة صغار يتجالون

في المدينة السوداء

والسلطان يسكب الرصاص

على الجلد الحي

وينفخ في النار

تستعر في وهج اللظى

نعوش شهب

هو الموت لكل الأشياء

إلا لأقحوان يحيا

في بطون من فقدوا حناجرهم

والوقت واحة صمت

على التراب يُصلب

كم من الوقت

وهذا الليل المتلبس بالكتمان

وأنت وهذا تقضمان

النبت اليانع في البذور

امنحوا الفصول

زيت النجوم

واتركوا لنا مساحة

كي نرسم ملامح

الأطفال الأشقياء وهم

يودعون في الحياة

ترانيم لا تنضب

ولادات مشبوهة هي

على أبواب الأنساغ

يكابدها فيض البرق

فيزهر نبتنا العاري

وتطفر من بين الخيول

امرأة لها خافق الأنباض

والفطام الأول للظل الممتد

من المحيط إلى يثرب

ذات هشيم

تعلقت بنا الدروب

والسماء فراشات زاهية

اختارت لنا عسل البحر

رأيت الصغار جلُّنار

بلون الضوء

الليلة داهمتني الأحلام

تبتلع مواسم

الأغصان قبل

أن تهدب.

الوطن العابر

خلف جوف الليل تتقلب الرؤى

ونحن تائهون خلف الوقت

نجمع الدعاء في حلقات الذكر

وهم يرسمون على المطر

تخوم الموت

وأنت مازلت وطن يلامس

نهاية هذا الدمس العابر

أيُّها المحشورون في خاصرة الوجع

مدثرين بالجراح القديمة

لا أنيس لكم

غير أحزان تنوء

ونبوءة تسبق الفرح

وحدكم ضالعون

في سيقان البيلسان الماطر

أيتها المدائن الأشباح

يفر الصباح منك

وتغادرك الرحمة

وغيلان الكهوف تعلق المشانق

على قارعة الكروم

والميادين الشهيدة

دم أزرق

ويل لأمة تمتشق الذبح

والقهر فيها واتر

تعوم الجماجم على أكف النارنج

والقبور فراشات أينعت

على ضفاف الضوء

أجنحة منكسرة وفراغ للبكاء

خلف ستائر النزف

تسير المدينة وموتها يتناسل

أفواهها ملبُدة بالدم والمخاط

ووجه المدينة يطمر ظلالها

قد مزقته الخناجر

يتدفق هذا الوجع الكامن ويمتد

نكتب موتنا فوق نسل العيون

كأنَّنا منذورين للألواح المختومة

خلف تلك الأبواب

والأجنُّة أوراق معلُّقة على الجدران

ينام تعب الصغار في قلوبهم

وتتسلل رائحة الخبز المنكسر

من أصوتهم وتذوي

كما غاب عنهم بريق المحاجر

مازال مسكوناً في عمق العتمة

يطفح ظمأ الصدى

مسجى في تابوت

يا ليته لم يكن

قد مات غريباً

خمس خفقات لاختلاجات الاحتضار

تومض حين يبكي المساء

وتهطل من بين يدي أمه

عصافير خضراء فوق المقابر.

بذرة الصلصال

للريح المثقلة بالوشم

إحدى عشرة خرافة

لانفجار البذرة في الواحة

أشباح صامتة

للزهر المحترق في الصباح

تغرق وجوه الصغار

في صدر العتمة

للرمل الذي يخترق الغيم

ثلاث مئة فم ظمآن

وألف يد

مثقلة بالأصفاد

ترتعش البسيطة تحت

الأصوات المسلوخة

بتراتيل الملح

واللحم الحي والأحلام

تنشطر الرياح الحزينة

محملة بالخراب واللعنات

والغيوم تمطر قهراً

تمطر حزناً

تمطر وحلا

وأحقاد

نحو الشمس الطليقة

أشد أوتار الرياح

وأمتطي صهوة

العشب المحموم

يحوم فوق المدينة

يدق على كل دار وباب

يعبر كل النوافذ

يحدٌق بعيون الملائكة

فيشيخ الصمت

في أرض الميلاد

قبل الرحيل تئن النوافذ

الحزن يليق بها

ويليق بالأرض غريد الطيور

فيها بكاء

يهجرها لون المطر

والفرح فيها اشتهاء

يمتد فيها الليل

قوافل شهداء

وفيها تجتمع الأضداد

اليوم أضرب فوق الآهات

وأمحو تاريخ القبيلة

اليوم أصدر مراسيمي

لا خير في وطن

يقتلك حبه

أغمد في فؤادي الخطايا

وأبصق ما ضاق به صدري

فتنبت في ذاك الوحل

زهرة على قبور الأجداد.

بلا علامة

لكل رجل أنثى

وحبيبتي رحلت بكاء

على من رحلوا

لكل رجل وطن

ولي خطىً تئد الدروب

وتغتال نبت المسافة

لكل مشرد لاجئ ميناء

وأنا لا بر لي يفتديني

وحبات عرقي

تنمو على سطح الأفق

فضاء لا أرض فيه

لاطهر فيه

ولا أثمار

لكل فرد راع ووالي

ولي سبعين والياً

في خمسون عاصمة

يتنافسون على قهري

وانهزام زمني

لكل سجين سجّان

ولي ألف جلّاد

لكل قتيل نعش وقبر

وانا في كل يوم

ناعش ومنعوش

وكل غابات الصنوبر

قبور لي

محمومة بالسعار

هكذا نحن

نختنق متصلبين كالرماح

تطاردنا الأشباح

كالضفائر تتلوى

نشهد الحسرات

وتتحول البلابل أفاعي

تمتص الجفاف

نرى الفرح بالرغيف

حين تستسلم الرقاب

لقطافها

في الحقول الواسعة

يعاصف ارتجافها

كالإعصار

وحدنا

نشرع صدورنا للفراغ الآثم

ننتحب

الأرض الأرض

وحدنا

في هلع الفوضى

نقتبس من الكوثر

حبّات الندى

يتوقف قلب الوطن

ويموت

الصبار المثكول

وحناجر الفصول

ودفاتر الوحول

حين يلوذ الأبيض

على أفواه الحالمين

في الأسفار

خضرة الأرض عطشى

كقلوب الصغار

قلت لها

أعينينني على الإيمان

لعل الارتعاش

يوقظ الرحمة

قالت

ما عاد متسع

لينابيع الصدور

أخشى أن أفقدك

مازال قلبي صغير جداً

جدا

أفقأ عيناي

عسى مساحة العري

في إيماني لا تكبر

هنا صوت روحي

يغفو بسلام

بين سمع الثرى

والأبصار.

تخوم الجوع

حلقت بيننا خفقة

على تخوم الجراح

أهازيجنا بين الندى

وزفرة الحلم

بين نوافذ النرجس

وانشطار البحار

زها القهر سواعدنا

فزادنا شذر مذر

لا تلمنا إذ خرزنا عنق اللّيل

نغالب دوار الشعاع

ونشقُّ الأرض بالأسمال

يتناثر الرمل في دموع الصغار

حبق وسوسن

تتطاول العناقيد تتعانق

نخلاً ورمّان

وفي لحظة انشطار

صكوك العهد

يزحف الموتى

نحو المدينة الجائعة

يطاردن أطياف القمح

كلٌ يعود إلى أصله

فيعود الموت إلى الترحال

هدهدني الارتعاش

نحو الغيوم المسافرة

إلى مقابر الخزامى

أمد للقامة سندساً

وأضم جناحين

من تعب وحصار

أدخل في عتمة البياض

نورس مذبوح

أسأل الحقول

هل مازال مشهد العصافير

تحلٌق في دهشة

بدون أطفال

خلف أسوار الجوع

فوانيس تتدلّى

من مروج السوسن البرّي

من يمنح الفقراء

أرغفة الضوء

الريح تزأر قبل الخسوف

أحتسي صوت النواسي

وأغزل من هذياني

قلاع الخرافة

أحترق سدىً في الغيافي

حين تختفي من الدروب الظلال

تنمو الفصول عشباً يتقرّح

على مشارف الوجع

من يحصد عمر الغائبين

زهرة ينزفها الكفن

ومن يزرع لليتيم

كفاً للصلاة

لم يصلوا..

الشمس أغمضت فمها

هناك يختبئ الحزن

في التقاء البحور

ذات وهج داهمنا الغياب

فانتعلنا النهر وتوسّدنا التلال.

تراتيل حزينة

إنني ممتلئ بالعزلة

مساحات من السواد

والأكمام مُبتلة بطعم الفراغ

أنسدل من نافذة الحمم

لا ملامح لدربي

أتلّى كي أتضرج بالخطى الساقطة

لا شيء سوى هذا الصدى المثقل بالعراء

يتهالك رماد الهيكل

لا أديم لهذه العتمة

غير أن صنوبر الراحلين رمق السهد

لو أنّ البرق ينكفئ

لو أنّ النبت العاري أطياف عقم

يحاصر الأرق

لو يمضي هذا الوشم الأخير كطيف

ويتوارى تحت ركام الخواء

يا وطناً بلا ضفائر

كيف نعشق ظلُّك في السواعد

وهذا الامتداد المشروخ يلتهمنا

أيها الوطن الكفيف

أرسم لك من عيناي

شقائق النعمان

فكيف أراك والأجفان تمضغ الملح

وأجنحتك تقاطيع عمياء

المدائن تسأل عن أسمائها

تفتش عن موت يشبهها

صغار يأكل الذباب عيونهم

والنساء بأثداء هزيلة

تجول في الأزقة تتعثر بالشقاء

نعوش ممتلئة بالجمر

وجه الجنازة يرتعش

والغربان تنوح على سنديان الغرباء

يمد الموت أكفه نحو المنعطفات

يفر الرمل من شقوق الريح

وينتظر الشجر القيامة

وحيدون هم كنجمة الصباح

يحضنون الأخضر فوق القبور

فمن يذكر أغصان المدينة

وألوان دهشتها

والدروب انتعلت الوحل والدماء

للتراتيل الحزينة جدران

وأبواب مذعورة

تحرسها الغيلان

لا نوافذ فيها

وعروق الأرض تبكي

وتتشقُّق السماء خمائل من احتضار

لكنُّنا نوغل في الريح

نقطف رعش الضوء

نفرش المطر وجهاً للصلاة

نقرأ أسرار الفصول

فوق رماد العشب كالعنقاء.

جفن السماء

يعلن الليل عصيانه

كلما رماه الفجر أشاح

وتوارى

تهوي الأغصان

قرابين خوف وأسفار

يترصد الليل الصبح

ويغلق الرؤى

اللّيل للثرى لحداً

يلثم خدُّ الأمس

سفر يبتز السكون

يتفصّد عن بخار

اللّيل خطوات ثكلى

تمتد الدروب كأشباح الدجى

مسعورة تسلب أجفان الظلام

إلى أين تمضي
وكل الدروب انتظار

الليل نشيج ورماد
تقرضني هشيم الأماني
وماكنت في غمرة العصف
تذروني المساكن
منثورة كالقفار

الليل مستفيض ينثر الأسئلة
كأنين المحتضرين
وتد في الأضلاع
يعانق منّي طرف كليل
لا ترقب ولا فرار

مازال الليل يأبى مفارقة
جفن السماء
متواصل بالنعيق

فتجثو الأرض

سمق غبار.

حجارة النرد

بعد أن هبط آدم

من الجنة

وبعد احتفال الملائكة

وسجودهم

كان سيدنا

ظمآن وعلى أكتافه

وهن ندامة

الجبين متعب

والثوب رث

والروح تنشد الغفور

اليوم قالوا

أن قابيل قتل هابيل

دفاعاً عن النفس

تهبط أجنحة الموت

كل ليلة

تلمع في عتم اللّيل

كندف الثلج

تتكور الخطايا
على ثياب قابيل
وقلبه من الحزن
مكسور

في فوهة المدفع
طفل بثياب النوم
يروي أحلامه
على كفوفه النديّة
في صالة الموتى
تعذبني أفعالي يا أبي
فهل يسمع سراج العمر
قصائد الحسرات
يا أبي
إنّي أنحت من أضلاعي
ناي
وبصدري تتسع القبور

هل رأى أحد منكم

طفلاً يصد جيشاً

بأصابعه الطرية

هل شهد أحد منكم

فصول الملح

تنثر السّواد

حكايات تنوح

هل سافر أحدكم

إلى أرض قارون

يضمّد الناس هناك

جراحهم بالجمر

وبحرها يعوي ويمور

مضى قابيل يصرخ

يا ويلي

يوم تشهد أعين وشفاه

يمرٌ عشاق الليل

على سيقان النعناع البري

كأنهم ليس سوى

احتضار

شنقوهم يا أبي

وسط قلوبنا

متأرجحين

بين دفتي

اللُّيل والفجر المنظور

كانت دموع المحاجر

تؤنسهم

في المعابر التي تضيق

كأن صراخ الصغار

على أكتافهم

كحل يبعد

زعانف الموت

يئد في خشيتهم

ذاك الغول

ويجعله كالعصفور

يا أبي

من أين لعيونهم

ذاك البريق

ولقامتهم ذاك السندس

وللأكفان رياحين الجنة

من أين تطفو

ابتسامة الموت

تقول الصبايا يا أبي

الشهيد في السماء

تتنازعه الحور

ويقلن

هو أجر الله للمأجور.

حزن حزين

عند النخلة الخامسة

تعرّى الحزن كشرنقة

تحت ثوب الموت

وصارت المآذن فراشات

حملت زفرات الجثامين وحلّقت

تبحث عن وطن

تسع هزال أقرب من الغيم المسمول

تمتشق جمر الانكسار

مولودة من الرؤيا

وثلاث عاريات كشواهد القبور

رمل يلامس الخيبات

وملح يعاقر الشجن

قد بلغ الظمأ الانشطار

والبحر المكلوم في اشتداد

فكيف يغرق الضوء

والريح جاثمة في قعر السواد

تنبض بعد الموت

وحدك تملك كل الأسماء

سفر أودع فينا ذاكرة المدن

مد التراب رصيفاً من رمس

فارتعشت أهداب الفجر

وغفت العصافير

خرج اليتامى من السراديب

قد شاخت أسمالهم

بكت التوابيت وانشطر المطر

حين مرّوا على الكفن

يجهش الحزن خلف أقبية الموت

هذه الخطايا صباحات عتيقة

فأي الغيلان منذور للقحل

وأي نوارس تراقصك قبل المشانق

فمن غيرك أرحب من مسافة البلاد

أيها الحزن.

حصار الشمس

جمعنا حصار الشمس

في الأفواه

نسأل عن الوقت

وزهرة الورد

كان القتل في السواد العاري

فأجهشت بأسماء الذين عشقتهم

ورحلوا كالأغراب

أنّى يكونون أكون

من يجرؤ أن يبصق في المقصلة

بدءًا من هلالين أرجوانيين

وحبل يتدلى من قمة التلة

يناغي الجسد المطوي

في الدفتر

تباً.. لو كنت أنت الذي

عرفته قبل الموت

لكنك في وشاح الوريد

مدفون

فتحت ذراعيها الأمة

لا.. بل فتحت ساقيها الأمة

في مستهل الأنباء

قبل الجثة بيان

في مطلع الفجر

قبل الضوء إيذان

وتظل المسافة

بين الموت المضمخ بالوداد

والعيون القاحلة

رهن الظنون

هل سألت الشوك

حين تخونك الدروب

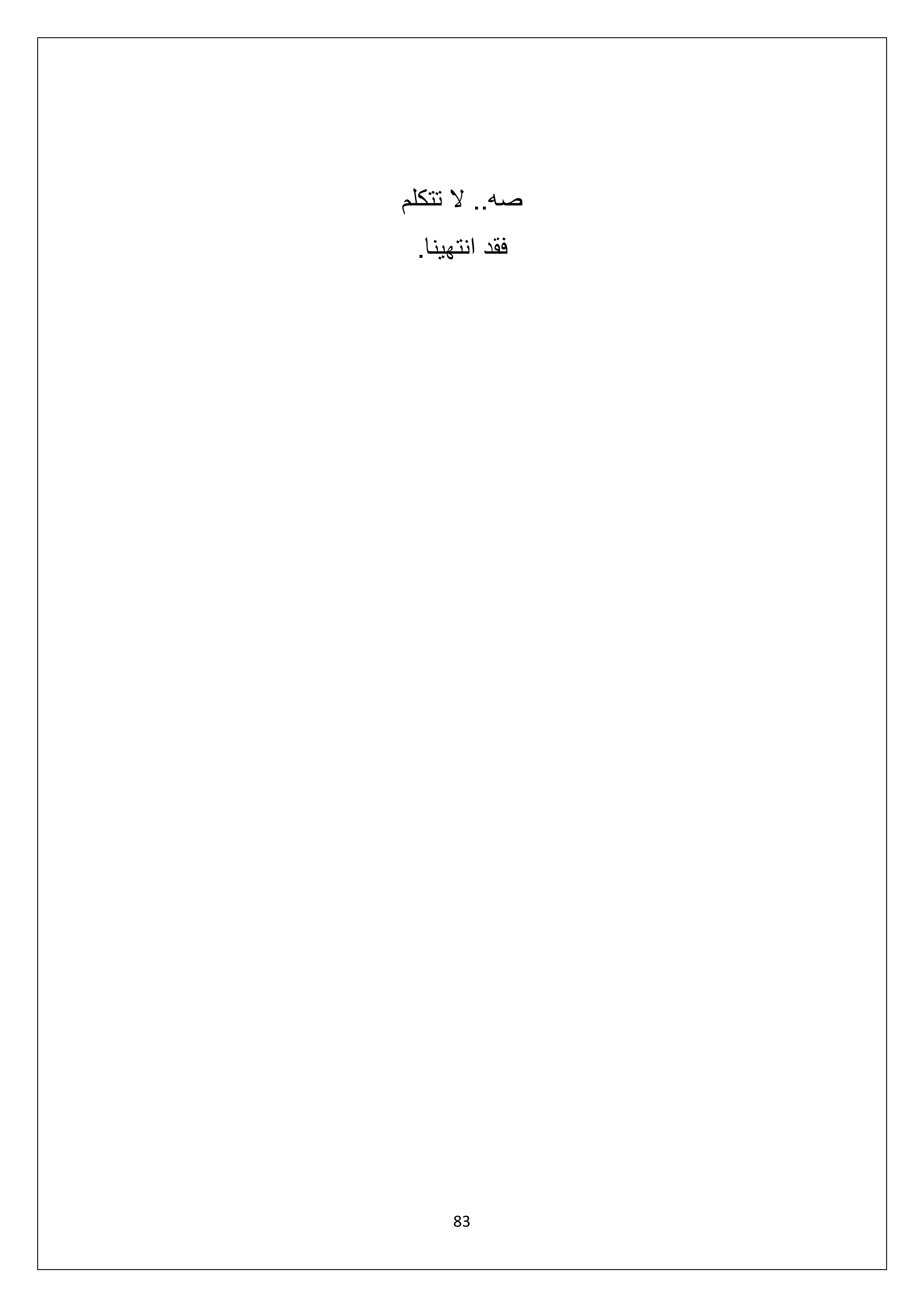
هل تعلم كيف يتشقق الورد

وينتصب الخراب ميقاتاً

هل حدقت في التكوين مرة

أن يعبر الجسد الجنون

وأن تفقأ العيون



صه.. لا تتكلم

فقد انتهينا.

خلف البياض

السماء تصهل والألسن ثكلى

وأخاديد الأرض شهب عرجاء

أي مطر يستأنس الدمع

هذا الفانوس فم للدروب

وبر يُسقط الرحى من القلاع

وهذا رماد الأرق بحر تائه

وتلك الألواح مصيدة للطيور

وعشاق الطريق

الليل مطوي هناك

خلف إغفاءة الحلم

من يقبض على الصلب

في اليوم العاصف

لا جسد في الملح

فقط تسعون فلكاً هي حدود اليتم

لا مخارج للبشر في السقوط الأخير

فالموج أغلق ظلّه وأضحى يضيق

يجن اللّيل

ويطفو على زبد البحر

شوك وبارود

يلقي العشب الشمعي بالرصيف

فتتوسل الأضرحة الحجر بالحجر

يطوف اللّيل بذاكرة المفقودين

يسجد للظمأ

ترى أشلاء الخريف مبعثرة

والمسافة بين الموجة الأولى

وبين الرمل المزمن

ثلاث صلوات في الحي العتيق

الرعب أضيق من جمر الانكسار

تمر جدائل العجائز على مهجة اللّيلك

تُولي جوانحها نحو النّور المسمول

تترك حد الفجيعة

يغلق النهار نوافذه

وينام

تهرول الجبال فوق ظهور المبتورين

ويمتد على أكتافهم النخل العاري

يرتبك الأفق

وتلُوح الأكف للخواء

هي غيوم عاقرة

من ذاك الحريق

طفل يشقُّ أول الغيث

برئة نازفة

حين كاشفته الغيمة

لوى السماء بمعصميه

أطوف في ساحات الهزائم

وأخرج من جسدي متلبساً

بمصيدة ألياف الدم

أفترش سقوط الأنين من طرف الصدر

يا لله..

كيف الثبات في جوف الثعابين

والجحيم يهرول على الصقيع هناك

والرغيف غريق

كأراجيح الطفولة

حين يختفي الظُّل خلف المرآة

ومثل الوعود التي لاتصل

يتأبطني ذاك الفراغ

لعلُي أطل على شرفة المهد

هيكلاً عارياً دون ظل

يا عمر..

كيف لي أن أدثُّر ذكراهم

وأظلُّل قبورهم بجرحي

وهم لا يرون في مساحة صوتي

سوى الشجيرات المطلّة من وريدي

وكيف هم يتفرغون للموت العميق

خلف البياض

أحلام موصدة الأهداب

عمرها أكفُّ العابرين

ونبضها الزعفران

تسقط على الحقول

أوراق صفراء

تدوسها النسمات الحزينة

وخلف تلك الأجساد

ألواح سفر

نسغ الشظايا المتكسرة

تقف ليلى تزاحم الرعش

بشق الشمس

وتهب السر للريح

والدم النافر

لكل ضوء من ذاك السواد طليق.

ذاكرة من مطر

رحل شاعر الثورة الفلسطينية أبو عرب الذي غنّى لفلسطين طوال سبعين عاماً حتى اللحظات الأخيرة التي أمضاها بيننا على فراش الموت ، فلسطين التي قال عنها "لكل الناس وطن يعيشون فيه... الا نحن فلنا وطن يعيش فينا".

هو خال جميع الفلسطينيين ، أبو عرب موّال مفتوح على السماء ، نبت خارج من دم الوطن

أبو عرب الحبق النازف طهراً

كما على الصوت المولود يزهر اللّوز والصنوبر

كما في جوف المعاني العتيقة

ينمو الربيع مواسم من مطر

يضيق القصيد على مزامير الناي

يتوهج الفراغ خواء

كسلال الريح

الوطن مناجل عمياء

الروائح بنفسج القبور

النوافذ غبار الفصد

والأسماء وريد الخبز يقرض أكف الصغار

يطوف الرمل شوك وبارود

أبسط زندي وسادة لأوجاع الطريق

لتغفو الوجوه العابرة

لا شيء سوى ملامح محمومة

وسواد يتوسد نافذة الفصول

نتلوّى كي نقطف عشب العيون

فكيف نوقظ رعش الموج

وأناملنا عمياء

والرؤية في انكسار

أيّها الموشوم على النبض العتيق

باق أنت كزيتون متمرد

أيها المبعوث نرجساً

من رحم التهجد

قادماً من سبعون طعنة

أيّها المتدثر بضفائر الحكايات

باقون نحن في جذع المواويل

أيها الراحل سيلا من ريح وغضب

سلاما لأكف تمطر جمرا

سلاما لوريد مبتل بالنار

لو أن الأرض تمتشق الوجوه الزرقاء

لو أن هذا المخاض يقبض على يقظتي

أو يموت

لو أن المكتوبون في جوف الحرقة

نور ينسدل

فأي بحر يمطر بارود

واي ظلال تبتر النسمات

وكيف لك أيها الجاثم في الوجع المكتوم

أن تمتطي رائحة قلبي

دون أن تمضغ لحمي

وقت الاحتضار

أيها الباسق تشرّع جناحيك

صوب وطن

يا سر الغيمات الناعمة

رائحة التعب تقطف لون عينيك

يا بسمة المخيم

باكورة الشغف

كنت أشواقنا تطير حد سنابل الوجع

كان المطر يلسع عظامنا

والدروب تعري قاماتنا

أيّها الفارس ثوباً ينتفض

مسبّل الجسد

حيث ارتعاش الضوء

فوق الدمار.

زمن الخريف

مسكونة تلك الذاكرة في الخريف

بالصمت كالمقابر

مضرجة بالوجع

من نوافذ الغيوم

شاردة كالمطر

ترمي شحوباً ثقيلاً

في الفراغ

يستبيحنا هذا المدى

يلامس رعشة الحزن

كان الخواء مثل يمامة

ذبيحة في أورقة الفلق

في أيلول

تغدو الأرواح مندّاة

بالاحتضار

وغروب يلوٌح بالسراب

والفجيعة

وأرصفة تعبر خطى حزينة

دون نهايات

من أين يأتي

كلُّ هذا الحزن

يراود طين المواقيت

يبكي البنفسج

حين يغيب الشفق

عاد أيلول

يخشى السقوط

في معاطف الورق

المبلّلة بالشرود

أيلول ليل يهذي

وقوارب تشق عباب الدموع

تخشى أن تهوي

ابتسامات الصيف الضائع

في أحلام الصغار

ونداء للشتاء

إن تأخرت عن المواعيد

وغفونا الانتظار

مواقيت أودعناها

رعش الأصابع

واحتضارات المساء

وأوراق تهرب مذعورة

فوق رصيف الميناء

خشية الغرق

أين يزهر الموت؟

في بياض عيون الأبواب

تنتظر حلم عابر

أم في ذاكرة الماء

ومن أين تنسدل

المساءات المحترقة ؟

من جفون البحر

أم من بطن الجحيم

وحيدون كناصية اليمّ

في قعر الجب كنا

حروف يراودها الشوق

قناديل معلّقة

على سطور الخيال الرّاحل

من دوامة الفصل المحترق

من أيقظ أيلول؟

من أعطى ذاكرة الريح

عناوين الأكف المرتعشة؟

أسدلت تقوب الجدران

وحشتها

في الحي القديم

والصغار هجعوا البيوت

والنوافذ تغفو

من تعب قلوبهم

من هنا مر رأسي

في سدرة المنفى

ألقى بثقله

على قلب الوطن وانطلق

عبر الراحلون

يحصون شموع العبادة

وينادون أشباح الريح

هنا شيَّع الطفل أباه

والحزن

يشق ثوب الدموع

رشحت خيولهم

من مسامات الرمل

وترنَّح خبز الموت

على جدائل الحفر

وانسكبت صلاة الخريف

ضوء بغير مدى

بلا ألق

عاد الخريف

بذاكرة من وجع

وأعود إلى الحبيب

لأعبر بحروف للوطن

أولِّي صدري

شطر الملح

عارياً من ظلي

وأعود للوجع الإلهي

المغموس

في زوايا الروح

أعياني الركض

فارتميت

على الرصيف البارد

وأسدلت رأسي بين يدي

وبكيت

في عتمة الغسق.

زهرة البرتقال

هل لهذه الشمس من ظل

يمزق ذاكرة الماء؟

هناك في ضفة المتوسط

كان الوطن يحاصرني

كلٌما اجتزت مجزرة

أو غانية

لا عشب لي

في الرمل الكسيح

هناك كنت وحدي

اتكئ على آخر حجر

أحذف كل المدن

إلاٌ البحار

تبكي الأحجار

كلٌما عزف الموت منفرداً

وأعلنت الأوتار

كيف يكتمل القوس

للذبح مواسم

تتبدّل في كل فصل

تقدّم القبائل قرابينها

أحلاماً مذبوحة

وصغاراً

فم الوالي فاغر

يلتهم اللُّحم الحي

ويحتفظ بالجماجم تذكار

لا وطن لي ولا هواء

في بلاد سنابلها تطفح بالمرارة

حقولها مسلوخة

وتهجر الطيور أشجارها

دروبها عمياء

تغيب عنها رائحة الخبز

لا تسل أين أمضي

أنا القتيل لا يعرف داءه

أنصب اضمحلالي

على قارعة الفواصل

منكسر كزورق

بعصف إعصار

لم يكن من الحزن بد

لهذا

أسلمت للريح وجهي

أقرأ هزائمي كما أشتهي

هجرت الناس بيوتها

إلى الصحراء

والبعض إلى المقابر

الأطفال افترشوا الدروب

مع العصافير الجائعة

والنساء يخطن الأكفان

القلوب قاحلة

الوقت فاتحة السراب

والغيم بلا أمطار

نستلقي على خيباتنا

ننتظر المواعيد

وزهرة البرتقال

أيها القابعون المتربصون

بالجرح

خلف النعوش

أهزوجة الموت الأوّل لكم

ولي حطب الموت

وزهرة الغار

تقوم السّاعة

حين تموت الأرض

يذوي النخيل في الواحات

وينكسر الضوء يا زينب

ويتشقّق الفرح

هيّا قم وانتصب

اشرب هذا خباء الصعاليك

أسكب البحر بكأس

وافرش أشلائك

أتلو تعاويذ العمر

يا لله

كم هي فسيحة تلك البلاد

لكني في شدتي

أراها أضيق من كف صبّار.

سديم سرمدي

تتعثر بنا الحقائب

في شرفات المطارات

المغلقة

يلدغنا الرحيل

كنجوم أعياها اللٌّون

فأمست سواد

تتوه قواربنا

في الدهاليز

أترك رأسي

على منضدة

الماء كالزبد

في زفرة الريح

وأجثو فوق الرماد

على حين غرٌة

أيقظتني الملائكة

كالفراشة تتكئ

على حلم وشهقة

لتجتاز الأرواح

طعان اللُوعة

قالت

إن لم تجد عشك

حلق عالياً

ستجد يد الله مداد

على حجر الربيع الأخير

جثوت

كنت واسع كالجرح

نازفاً كالفرح

في آخر السطور

ألملم الخطى

في هياكل الحزن

وأنثر الصنوبر

للأرق مهاد

هناك يختبئ النهار

والمسافات والظلال

هناك

تقبع الأوطان الذبيحة

دمارها واسع كالشهداء

هناك تنسى المدائن

أسماء شوارعها

وتفترش طرقاتها الرؤوس

وحده الموت

يسبق أحزمة القمح

للطيور والعباد

العيون عطشى للخلاص

والنساء منذورات

للشجر الأسود

كان اللّيل ثملاً

فاستيقظ الصباح منكسراً

يا لله

امسك بقلبي

إنٌي متعب

مثل كسرة ماء

ابتلعها الغبار زاد

أخبرني يا وطني

من يؤرخ

الثلث الأخير

من اللٌحم الحي

من يمنحنا النداء

فاتحة لاختصارات المدى

النازف

الدرب طويل في كل عناق

والوالي يلتهم

رؤوس الصغار

وطفل يكتسي العراء

ينتظر رحيل النوارس

كي يجهش

بأسماء الغائبين

لكنه في رحى القتل

بخفين من دم عاد.

سر الريح

من أين للأمنيات الموشومة بالنداء

ذاك الأفق المجنح؟

وحي بلا ظل

تسعون شجرة للدُم

المتناسل سبايا

موجة للحروف المنهزمة

وموجة للنار العارية

خمسون ناباً

للأقحوان المشروخ

في مدافن الصغار

كيف لي أن أرقب

مقلة الحروف المنكسرة

على صراخ اللُّيل الحزين

موجة لميلاد منبوذ

الحبر أضيق من طوفان الكلمات

يفر القرطاس مكلوم

تسربلني الكلمات

قميصاً من حجر

ينسدل على وجه السعار

أسرج المعاني

على نوافذ الهذيان

للكتاب الموصد ثلاثون مفتاح

لك الآن أن تدع صراخك

في شرخ الصفحة

المحبرة صمّاء

والمداد أضيق من صوتك

في سواد اللوز

والفلم شوك صبار

مصلوبة هي الكلمات

تتقاطر من الماء القديم

موجة للنساء والشيوخ

زبد لرسوم الأطفال

وموجة للسؤال الرّاحل

في آخر السطر الناهض

من صديد الوقت

بين النقطة وقامة الألف

مسافة بلون القتل

هكذا حدث ذات أقدار

لك أن تزجر المطر العابر

إلى حتفي الأول

فمن يجد اسماً للحرف

حين تذبح العبارة؟

الورق أضيق من طين الحكايات

والجفاف سر الريح

خلفي كانوا يتفقدون

أسراب العتمة الذبيحة

خارجاً كنت لتوّي

من بقايا الأمس

عابراً نحو رعش الاحتضار

هي الصحراء جرح النداء

على خاصرة الوطن

الكلمات كسيحة

تكشف عوراتنا وتَعَبَنا

يا الله

انشلنا من هذا الضيق

تتوالى علينا الفجائع

كما صباحات الشتاء

تحتضن أجسادنا الطعنات

ولحودنا قدور سوداء

والشواهد كتاب أسرار.

سفر المراكب

كأديم قوس قزح

في الضوء المتوثٌب

في خدري

يبزغ الأرق

من سديم الأفق

أترك وجهي ينزف

في ساحل الغسق

يقرأ للعشب

خارطة الأمنيات وسفر المراكب

يفتح جميع الحقائب

للخارجين من الموت

والدٌاخلين

إلى الوطن المستحيل

من أين يدخل سوسن الكلمات

حين تأتيني الوحشة

فوق قوالب الطين المجفف

بين فكي الماء المبحوح

حين يلمع ظهري العاري

تجمعني القيامة

والزيزفون العليل

مروا على جنح المسافة

يقطفون مخالب الموت

ليسقطوا في الموت

من يملك صدق الذاكرة

تؤلي شطرها

رعش الاقحوان

تنشطر الألواح المعهودة

يتماً

فأي سحاب يبقيها صحواً

إن توسدت زفرة الوجد

كف الجسد النحيل

لا تقتلوني

إن ظفرتم بقتلي

واسألوني

عن موعد القطاف

أبصر خط الكفن

وتعب العابرون

لا أرى القبور

ألا قبر لنا؟

بعد الدعاء

ألتحف صلاتي

كقدّيس يداعب الموت

يأبى الرحيل

أيّها الرابض

على الضفة الأخرى

يا تراباً

صرعى عليه نتهاوى

لا سعف يشاطرنا قهر

ولا ردع من البلوى يجير

أيّ البلاد ستكتبني

ارتعاشة

وأنا الذي خلقت

من الضلع الهزيل

من أين جاءتني الأحلام

كصباحات تتدلّى

تعانق شطر الضوء

كي أعود مسجى إلى البيت

ملفوفا ومحمولا

مبتسماً

كأول زهرة في الحقل

يحرسني التراب

نعش قتيل.

سقط اليقين

في تمام الهزع الأخير

إلا نجمة

أوغل بالمدينة الدم

وتمادى القتل

تهيم الخطى على تلال العوسج

والعصافير نفقت

على أسطح القرميد الأسود

يفر الناس من ظلالهم

يتجرعون الموت

قالوا هنا يرقد الأحياء

كأن الأبواب أوصدت الوقت

حراس الفوانيس أثقلتهم الدروب الضيقة

الأقدام دامية

الشرفات مبتورة

والحدائق ثعابين تتلوى

خفت أصوات الفرح كالمطر

والشجر غادرته المآذن

سقط اليقين فسقط الوجود

والذاكرة نصال جرداء

على بُعد صرختين سجدتً

ارتميت على خافق السهد

أتوسّد صدر التراب

كانت مواويل الظمأ تدور كالرحى

بين جرحين

قالوا الرمل محميٌ الرب

علا العويل فانقبض الغبار

سقطت الخيول الرمادية

وفاض البحر فراشات وبكاء

حزينة هي المدينة

كقوافل الراحلين

النوافذ تتوسل المساجد

وتتوارى خلف المتاريس

رائحة الموت

تتشقق الأجنحة وتُدبر الغيوم

تحتضر الأرصفة والشهب

والجرذان يقرضون أعين الصغار

نساء الحي يرفعن الصلوات

ترنو إليهن أصوات النواح حُبلى

شهوة القتل تتسكع هنا

تحدُّها العقبان السوداء

في تمام العنق التاسعة إلا سبعة مجازر

يغفو تعب الأطفال خلف أبواب الموت

مدائن الزنبق أنبتت علقماً

وحواري الياسمين أكلت صغارها

الكروم ترتل مناسك الاحتراق

تذرف حبات العنب حمماً

التلال القريبة أضحت لاهوت يرتعش

يشيخ وجه القمر ويضمر

يفترش الوطن الخطى الضالة

يستحث زحمة التراب

ويستوصي غصّة الرخام

في مقابر الغرباء

يحزن الحزن وتهوي الصباحات

وتتعرى الأرض الثكلى

وتفر من الأشرعة العارية

تسحل ضفائر العويل خلفها

فتنقبض جماجم الصرعى خجلاً

يكتب الرجال أسماءهم على وجه العاصفة

وينثر الصغار أحلامهم فوق التوابيت الجائعة

هذه غلال الخوف تلتهم الأعناق

فتنسدل الرؤوس كالسنابل العمياء

هذه البلاد ليست لك

فأي تراب يراقصك قبل الغرق

ظهر القبائل مقصوم

لعينيها ضجيج

لا شيء يشبهها ولا تطاوعها المسافات

الوطن أضاع سراج الإيمان

كنت هنا قبل دهر وغفران

وقبل نيف من الأصوات المكتومة

اسودت الشمس

وأشاح القدّيس غبار الماء

انهض يا أحمد

هنا آخر الرمل وأول اليقين

فأي نبي سيملك هذا الميلاد

اقرأ باسم الدّم يتوسد الرؤيا

أيّها الراقدون هنا

في قلبي مدائن تتشظى

وصوتي وجه على الرمل

والآخر نافذة قطار

تأبطت ويلاتي على أعتاب الرسل

ألوذ بصحراء تلد أنبياء.

شهب عرجاء

شاحب وجه هذا المساء

كما الكدر في القلوب

مثل رصيف بلا عربات

ترتجف البسيطة تحت أقدام الصغار

تعلو أصواتهم المسلوخة

كأنهم في غابات الموت

أسراب يمام

تغرق وجوه الأطفال

في صدر الوحل

ينثر الليل رداءه على الأرض باكياً

يهطل البياض ويتكور الصغار

في حضن الظلام

يلوكون حسرتهم وذاكرتهم الغضة

يوم كانوا كرام

قتلوا وطنهم ووهبوهم اليتم

أضحوا أيقونات نازفة تتدلّى

من أعناق الجدات

هكذا هم الأطفال

هزموا زمنهم

ودموعهم نمت سنابل

لها ضفائر تتلوّى

في الطُهر الممتد

بين ضفتي السقام

تصطفق الأضلع في هلع

التراب للتراب

ينطلق نفير القتل

ينتظم الجند والعشب محموم

يضيق نظري أكثر فأكثر

الأرض الأرض

أفقأ روحي عسى ألا أموت

مصلوباً في صدر المقام

قالوا السواد في الرؤيا جزء من النور

لكنهم كاذبون

ألتقط الصبح اشتهاء الحياة

في المساء أعري صدري للسماء

الملح الملح

إني أحتضر حزناً

مازال فرحي عمر فراشة

غضا اللُّيل على البيادر

أيها العابرون تمهلوا

مرٌوا برفق

هنا صوت قلبي يغفو بسلام.

صكوك الموت

لفراشات الحزن تشتعل آية من وجع الطريق

يتربع الندى قصيدة مطر على بتلات الحروف

يفترش أحداق الأرصفة

ويتوسد أكف الذاكرة

هي أكفان جماعية

تجتر الليل حنظلا

هي أرصفة بلا نهار

الوجوه فيها خطى ممطرة

فإن رحلت غابات الليمون

تضمك المسافات

لأنين تبعثر فوق جناح العمر

يسهد الرمل شهقات شوك يتلظى

ويعتمر ظل المدائن

والريح الصماء تذروها الأشرعة الشاردة

أشباح النهار تتسلل من بين شقوق

غفوة العتمة

يأوي القهر إلى زفير الرمل

أغسل وجه القلق العتيق

عشب لسوسنات القلب

أربط زمني صفصافة

في عنق الصباحات

لذاكرة تنفث هسيس الحمم المتدفق

أدون انكساري كما بعد الاحتضار

ملح للعابرين

أنا صوت المحرومين

أرحل غريبا كمآذن الرحمة

أحمل بعض طيفي

فيضيق الناي على سدرة الغضب

هذا الدفق جثة تراودني

بين الكفن البارد ومخالب البدايات

لزهرة ترتعش على خد الماء الخشن

يجتث الجرح جدائل النساء

يستجير الصغار بظلال الموت

خلف التلال

أضحت الرؤى رماد منكسر

وانطمرت الأجساد تحت مرقد اللهب

ألا يغفو الموت قليلا؟

قليلا فقط

في رحم هذا الوقت المتشقق

هذه المدائن أشباح تعوي

والغيلان فيها كحبال المشانق

تحاكي الغيمات

لذلك السواد يعجن هديل القمر

أورقت موجة الشجن فوق صفائح الحزن

يرتبك إيقاع الموت

فدع عنك مرايا المحراب

ورابط صدى هذا الخراب

في وطني الأحلام براعم

في وطني أجفان الأطفال تدثر الموت

وطن يذبح وريد الخبز

وطن لا اسم له ولا ملامح

لاحول له وقلبه عاقر

أهدابه غثاء كالحشائش اليابسات

لسنديانة تنتحب فوق قبور الغرباء

أراني أقاسم الأسماء الأولى نشوة الموت

الآن لا ظهر لي

أبسط نبضي وسادة

تمتد دروب

تتفيأ مواويل الحصاد

لا الخيل طهرتني

ولا الأصنام أطلقتني

لكن ذات فحيح

تنازعت ألواح الموت لهب التابوت

في الفراغ الأخير

فتلك السراديب رسمت حنظل المزامير

وأول الصلوات

لأنني رسمت أهداب البحر

رملا أخضرا

أجهش الماء

ومد النبي التائه ذراعيه

ليس لي إلا سواك

قد فديت فصد المطر بذبح عظيم

فمن يستحق الغفران ؟

واي صحراء تلد أولياء ؟

هنا أصابعنا تشيخ

هنا للموت أوسمة

والمناجل العمياء تضاجع فضة القمر

يا وطني

حين يلوح الخلاص آتيك عابرا

أعود زاهدا ينبت الكرامات.

صلاة السبت

اين يقع مفترق الله مع الإنسان؟

مفترق الأرض والسماء

الحياة مع الموت

أين؟

أطفو على أكف البيادر

أرقب الصباحات

مضفورة بالشوك

أغفو بظل الألوان

توقظني الطيور العابرة

لا تنتظر..

أحضرت لكم من حزني

حبة مطر تحتضر

يا ليتني غيمة مطر

فوق أكواخ الفقراء

ليتني فرحة عيد

على خد الصغار

ليت قلبي معطف

للأقدام العارية

يا ليتني زهرة

تظلّل قبور المفقودين

ليت كفوفي موائد

للجائعين بأسمالهم

ليت كلماتي

وسائد المشردين

ليت مقلتي

نجوماً لفطام القابعين

في الزنازين

ليت روحي

مظلة لدموع الموتى

وشالي كفن للأجساد الندية

يا ليت صدري

ساحات رقص للأحرار

وزنودي ممرات

للعاشقين

ليت حروفي

نوافد للأحزان

في المساءات المسفوحة

تنطفئ الوجوه في عيون البحر
تنوح الأشجار
وينعق الرمل غبار

أما من جهة تفضي إلى خارج هذا التواطئ؟

يا ليتني لم أكن
ولم يكن الشقاء.

صوت الملح

أي طفل يسكنني

موجة من أنين

يحفر على النسيم

خطوات الريح

ويكتب

على الغيوم الراحلة

لا شيء يبقى

في الأحداق

أي وطن يناديني

صوته أهزوجة

في معصمي

ويزهر رائحة اللّوز

في وريدي

هذيان إلى تخوم

جنون الأشواق

وأي النساء تغفر

كل خطاياي

لأتلو تعاويذي

أعتصر وقتي

لتأتيني طيفاً

طفلة توشحت

بالضوء البرّاق

هي دورة الحياة

فيها رغيف جاف

وحقيبة

ودفتر يضم هلوسات

ما ضاق بصدري

ومساءات

لا ينتهي فجرها

في مفرقي

أحلام

دون أجنحة

أوجاع ترتجف

في الجسد البارد

وليل كالذئب يعوي

يوم مرير ويوم أمر

من سمٌ الترياق

حين تطوى الأجنحة

على عناقيد الضوء

من يطلق الشرفات

عصافيراً

فالطيور تهاجر

والبحور تهاجر

وكذلك تهاجر الحقول

والأرواح

يأسر البياض

قيد ميناء

رمته البحور

فيدمع العمر

قبل أن يتكفن

في عيون الراحلين

حدٌّ الفراق

يقول الرواة

أن العراة باعوا زيتي

على موائد لحمي

فإن مت

هل سيذكر ذاك الغدير

مهاجراً غريباً بلا وطن

بلا وشم ولا كفن

هل تتذكر غابات الصفصاف

أن جثتي مسجاة

في ظلالها

وهل يمكن لطيور النورس

أن تقيني النعاق

أنا الجرح والحجر المضيء

التحف البياض

افتراشاً

على هدأة اللّيل

أنا الميت الحي

أيقنت

منذ الأغصان العقيمة

أنّي أموت

أنا القبة ومهد القيامة

تزهر كفي

فتعود الفراشات

نحو حلقة الضوء

أنا حضن الخليل

واسع مثل الإغداق

ذات وطن

سأرسم القوافي

كما أشاء

بالأمس كنت هنا

وغداً سيكون قميصي

لحج الموج

ذات وطن

سأضع الهزيع الأخير

من الضوء

تحت وسادتي

ووردة

كانت وعداً

في الأوراق.

طفولة

تهاوت الطفولة

من بين أيدينا

عند اختلاط الدروب

فكان نصيبنا منها

منفى جديد

في الموانئ الشمالية

مثل وريقات

من السوسن البري

موشاة بالندى كنا

وحين رحلت

كنّا كأزهار صغيرة

تتفيأ رائحة الطين

نخلع اللحن الوردي

ونزهر في الليل حلما

وقبل الضحى نتفتح سوسنا

نغزل من لوعة اليتم

اسما لحواري المخيم

قد تقتلني الوحشة إذ أصحو

أقف على الرصيف البارد

أنتظر آخر عاشقين في المدينة

ليحملا آخر زهر وردة

من يشتري أحلام الصغار

بابتسامة وباقة أزهار؟

عشقت حجر

إلى صبية فلسطينية

كانت تهوى جمع البرتقال

وفي يوم الأرض عشقت حجراً

غدي وأمسي لحظة

حين يمتد الزمن

وتقترب النهاية

فماذا لنا

إن جثمت الشواطئ

وسافرت البحور

للنار رقصة اللهب

ولنا منها

اللظى نصال وسقر

لا درب لنا حيث نريد

يا منتهى حزني

أطوف المدن الحمراء

طفل يبحث عن طفل

نشوة بالألم الصامت

والحزن المكتوم

تطل النوافذ حزينة

النوافذ كالعيون

يفيض دمعها

وتئنٌ في صبوها

قد كان عيناً

دون أثر

تمتطي العيون البحر

سيلاً من جراد

وحين يئنٌ انكسارهم

تصبح وجوههم

قناديل طفولتي

وتصبح كل الحروف

أرق

يا أبناء أمي المثقلة

لرجفة العنقاء

يوم يطفح

بالثمر المر

أحن إلى وطن

يكون ليله كالصلاة

وطن من الأحلام

أحن إلى نبوءة

تسبق الموت والدمار

وطن لا يتشقق الورد

على أرصفته

ولا يستيقظ فيه

الخراب ميقاتاً

كأنه قدر

أنا نبت

خارج من دم الأولياء

حلٌ أسوارك يا وطني

باسمك يزنون بنا

وبغيرك هم مجد

دون بيرق

فمن غيرك يا وطني

طمس القمر

من غيرك نعشقه

دون حذر.

عمر المسافة

حين ينهي الليل كدره

يمضي مثل اصفرار العذر

يلوكني الليل كل ليل

جمراً على ناي الوداع

لو يدرك هذا اللُّيل جدف النبض

لاستمطر الكمد

الليل داج والكرى عسف

تكتظ في دجره أسماله

إن غفوت أو تبدى لك

من الفجر نذره

فسيان وقتك غائب نجمه

كيف يخذلك الصبر

والشوق والسهد

أمتطي الليل للوجع سبلاً

الحزن باق والجرح للجراح حارز

والخيل أمست بلا فارس

أسرٌج خيول المنى

تزل بي فرفقاً بي يا راحلاً

كنت بالأمس روضتي

ويحسدني الورد

هذا أنا أحمل صورتي

طفل ترجل من حكايات العيد

ترتدي حروفي عيوني

فتصبح قصائدي أطفالي

مات آخر أشباهي

قد كسرت جميع المرايا

وصار الجرح

للهمس كالوعد

إن كنت أشكو للندى مري

كرشف الأمس عذب الصمت

فالندي يشكو من ليله حرفه

ذاك دربي

خطىً تئد عمر المسافة

وخطىً كسهو الزمان

ألعق جرحي إن ظمأت

فعفة النفس للحر مكرمة

كالنحل يخص الملكة بالشهد.

عناقيد الملح

آن الوداع

تعالت أصوات الجهات

واستقام القاطنون

في المواقيت الساقطة

للركعة الأخيرة

في حضن الصبّار

فارتميت بنزيفي

على بساط الشمع

أغسل وجه الفراغ

من اكتظاظ العسف

حتى فجوة الوشاح

هودج الليل

يحني قامة الشجر

لدروب توقظ عند السفر

الشجون على حافة الملح

عناقيد من صرير

ترمي النجوم حفنات

من النور

فيدور الصمت

دون صدى

حين تتعالى

أصوات النواح

حدود المدينة يرسمها

الوشم اللاسع

فوق أسوارها

حتى حدود الذبح

أين الرحيل

والدروب استحالت مقابر

تنام في حضن المساء

على أسرار

من همسوا للشواهد

والأرواح بعثرت التراب

وراحت

تعدُّ بالحصى أيّامها

وتفترش دموع الضوء

بظل الجراح

في عورة الماء السافر

يزهر الملح

تماثيل تنام على المدى

وفي الكفّ الممتدة

على كتف السواد

تضم الأرض أحزاننا

فمن سيرتدي أصابعي

ملامح وجه جريح

يطهّره المطر

وتعمّده الأتراح

أسأل الصبح العابق

بالياسمين

أين ذراع البنفسج

تنادي لتصحو العيون

وتغسل لون الحياة

وبعض هموم البشر

خواء ... خواء

يقتلع وشم الماء

للخفق النازف

في دهاليز الرحيق

شجر في الظلام

كزهر النارنج

في نافذتي

تذروه الرياح

إلى أين الرحيل

والأماكن توحّدت

في الفراق

صحراء من أول الحرف

إلى منتهى السراب

نحتسي الصمت على مهل

في أكواب التعب

وعشاق الدروب الملتوية

هجروا الجداول

تزحف خلف قاماتهم

أشعث هذا الفراغ

قد غادرته الأفراح

مرّت الغيوم بجفن السماء

وهمست

لربيع رمادي اللون

دون شجر ولا جهات

هناك غريب

أحرقه الوطن حنينا

فانزوى يعلق قناديل الوجع

على ورق السنديان

ويكتب في الريح

ليلا يموت السنونو

إذا اشتد الظلام

وهوت نعوش المنفى

كالرماح

أيها الراحل

المداوم على الانشطار

ارتق صدرك

في السجدة الفاصلة

فالجرف يتسع

وعلى عتبات الغابات

غصن للغرباء

تنام عليه الغربان

وأشباح المنفى المسعورة

هناك فجر دون ضوء

ومساءات بلا صباح.

غيبوبة خضراء

تتشقق المدائن جسراً للريح

أشلاء الخمائل مبعثرة..

موانئ الرحيل ذاكرة للاحتضار

كان الفجر يموت

والوطن رسوماً على الجدران

كم على هذا العبور الموشوم

فوق الجسد المسجّى في الفراغ

أن يغلق ذاكرته على المنافي

يا ربي اترك فيهم الرشاد

لكنك يا عبدالله مرصود

فاحذر

إن تاه صوتك تلقى حتفك

إن شئت ابسط قدمك

او رابط مع الباقون

لا فرار للبحر من الخيبات الممتدّة

على الموجات الطليقة

إنّنا وحدنا بلا وقت ولا ضفاف

حزينة هي صلاتنا

أوجاعنا حمم

والبياض بكاء

والساعة غبار ينهش أقراط النساء

ويمزق عورات الرجال

يا عبد الله

هذا الوجع مضمّخ بالملح

المرار يمتد حبلاً

والشهقات أعناق تتربص الأفخاخ

ليس سوانا..

نتلوى في ألواح الحكايات

ننفطر كروم ويمامة

فمن سوانا يصفق للمارقين

كأننا في غبش المسافة

نستعصم وطن يخاتل الموت

يتوغل الليل المسموم

يندس خلف الضفاف الحزينة

يا عبد الله

كيف نراقص ركام السحاب على طيف الرّيح

والأفق ضرير

يا الله

ها نحن ببابك نتضرّع

ارفع عنّا هذا السواد الباتر

قد أضحى حزني عارياً

كما أغلال العيون

يا ربي

ارحم ضعف حيلتي

ودع لي قوة العناد

ها أنا والخطايا والتسويل

أطرقنا بين يديك

جئتك ظمآن على سعف الغبار

هبني فراغ بطعم الركام

حسبيّ صوت الجفاف

يزاحم رعش العيون

أيّها الماء..

من أين لهذا الرماد التائه .. كلّ هذا اليمّ

في غفلة من الطوفان

كدّست أحزاني أمام باب الله

وبكيت بكاء المحتسبون

مدد مدد..

مدد بلا عدد

إن لي إخوة فيك يا بلد

فمن أين يأتي كل هذا الضيم

ومن أين لعينيك صوت الغيث؟

يا الله

اروي قلوبنا بالصبر

هنا نحن باقون

هنا تستحم البحار بالأسماء المحترقة

هنا سوف نظل

حتى تزحف عيون الفرح فوق العقارب

يا رب..

أسألك شقوق لا تنوح

وباباً يمتد ضفيرة للخصوبة

وغيبوبة خضراء تستمطر الموت

قبل الجنون.

قبور القناديل

قد أضجرتني الفراغات

والأسطر البائدة

فأنجبت الكلمات من أضلعي

كالأحلام

والقناديل الصغيرة

كالزهر تولد

من قبضة الطين

قطوفها دانية

أغصانها تتطاير

على كتف الرِّيح

والجذع فيها صامد

تطل حروفي

كطفلة توشّحت بالضوء

أناديها شوقاً

تحلّق كفراشة

تراقص أهداب السحاب

تمطر سواداً منهمر

والبياض ثلج شمالي

يتراقص على وتر

حروفي كالعصافير

تشدو بين الضلوع

تبحث عن ليل

وقطرة ماء

حروفي كالروح شامخة

دونها جسدي هامد

كلماتي

كؤوس من التعب

غيبوبة قبل الجنون

على قرطاس السُهد

تتلظّى

تنثر الوجع والأحلام

تستعذب بي

الضنك والأرق

كما بثينة تهدهد جميل

تبدأ من هنا ولا تنتهي

حروف تقرأ الوجوه

عن بقايا ظلال وصفاء

وأمل مورق

ومُنية تتّسع

وغيث ينهمر

فلا خير في حرف

في الوريد كامد

حروفي

نشوى متفرّدة

ترتشف أنداء المهج

من الوجوه المكلومة

حين يشرق البحر

هي الواحة الفوّاحة

الجذلى

إن لم يعد للهديل

على العشب موطئ

هي امتداد الزهر

على الصبح

إن سفحت القلوب

وأنس الأرواح

إذ دجا اللّيل

الكروب جاحد

تمتد الكلمات

صهيلاً منسكباً

ينساب من رؤىً كسيحة

إلى خمائل زاهية

فتكبر القبور

لتتّسع

الأحلام والأحزان

وكلُّ البحار

ويزهر السوسن

نجوماً حزينة

فمن يشتري البدور

غيوم تبحر بي

ليملك كلَّ الأضرحة

وكلَّ الشواهد

قاتلة هي الكلمات

كالطعنة

من الوريد إلى أخر حرف

ألا تعلمون

أن الموت ولّاد

فمدي جذعك إلي

وارويني من نبع الحكايات

واسكب لي

بالصبح قافية

حروف تفخر بالبذل

يداً للضوء

فالبشر يفنى

ويظل ماخط من ذكر

إذ تبكي حروفي

إن بكت أم ثكلى

وتتفتح إن أغشاها

السرور قصائد.

ليل لا يمضي

هذا الليل لا يمضي

فجوة هو في الوقت

ركام السحب يخنق الرؤيا

وفي كف الريح

يراقص الأفق أرتال الشحوب

يتجرع مر السهاد

الليل ضرير فكيف يمضي

الليل محموم يغزوه الموت

لم يعد في الزمن المقتول

وقت

تجري الأشجار نحو التلال

يقتادها الموج نهرا من رماد

في صخب الفجر الملبد

بالمداد

أشعاري أحلام من شمع

أسود

ما أن ترى وجه الشمس

تذوب في شهب الصباح

فأترك قلبي في بيادر الحصاد

ليت للحزن باب يعلو في النهش

ليتني قطرة ندى على خد النعش

ليتني هديلاً يكحُل شوك الشرش

في غفلة انتشاء الورق

أتلفت القصائد

وأعلنت الحداد

عزمت الرحيل

أيها الباقون في صمتي

حين تمرون على ذاكرة الظلال

لا تحسبوا أنّي انكسرت هنا

قولوا هنا كان

وللموت عاد.

ما تيسر بلا عنوان

الشموع تناجي الأمسيات

كسنابل الحنطة

تقطف البلاد وجوع الأطفال

والموتى يتدثرون

بأقدام الجند

قد سبق الحذاء العذل

وقضي الأمر

فيما كانوا فيه عازمون

حبال المشانق تتدلى

والأعناق اشرأبّت

تتوسد العلقم

موتى.. موتى

وكل الجهات رماح

تفقأ عيون الصغار والعجائز

والموسيقى أجراس من كتان

اصعد ولا تلتفت

خلفك تنتصب الأراجيح

في رحاب الأودية

خلفك صلاة البحر

واللّوح المكنون

أي الأشجار تشبه قاماتهم

وأذرع الرجال مبتورة

وأقدامهم من حطب

أيٌ خواء

يترصّد العمر الهارب

وأيٌ خطوات يبعثرها الموت

لقلبي مئذنة

ومزمار حزين

قد بلغ من الرحى عتيًا

بين حجران

كحبّات القمح المطحون

ينشر الموت أذرعه

كالطاعون

يحصد العباد والبلاد

ترى عيون القوم

دروب تائهة

وترى الحرائر مصفدة بالسلاسل

يبلُّلون الخبز بماء الليل

وتدوسهم حوافر الجلادين

أوقاتهم موشومة على زناد

لكل نصل قتيل

وهذا موتي المنون

ينحني الصبح للخراب

محمولاً على راح الصلصال

يتركنا بياضاً رهيناً للتراب

أقرأ ما تيسر بلا عنوان

وأرمي على كل نعش

بعض وريد وحفنة

من دموع القوافي

وكرز قلبي

أية مقصلة يفضي دمها

إلى كل هذا الجنون

انطفأت الأرض

كيف يموت الضوء

في النهار

وتسيل العتمة

يستيقظ الشجر في وداعهم

على قاب قافيتين مني

كان الاحتضار

أشرب ضوء الأنبياء

تنهمر على الفلاة

كأنني أستوطن أسفل الحسرات

أروي مئذنة الخلاء

وأتلاشى كالآذان

كما غاب البريق

من تلك العيون.

ما عدت طفلا

كان القمر صافياً مثل عيني صبية

حين انثنت كفها في الوداع الأخير

وكان الشجر يعبر الشرفات الغربية

كان الزمان مطراً لاسعاً

سألوني عن الغيمة الوافدة

عن الشمس كيف تصبح فراشة

سألوني عن اسم حبيبتي

وعنوانها وتضاريسها

كانت رياح الشمال تستبيح الندى

عن رموشها

وكان الحلم يعبر حدود الجرح نحو المحال

كان النهار جمرة في رماد الخرافة

انفجار على الواحة الجامدة.

فرسا في أغاني الأطفال

وكانت أقمار الحزن الفضية

تنبض في القاع

حيث عذارى البحر تنسج إكليلاً

من لون الفجر

وحيث حبيبتي فوق البلور الأخضر

كانت العصافير تبتسم لي بود غريب

وكان في الأرض اعتذار للجراح

كان في كل الجسور

وفي امتداد الحور..

في القطارات والنوافذ

في الموانئ وفي الأرصفة

وفي تجاعيد الدخان

شيء مني

وكان الذهب الأسطوري

كان الشحاذون

في القدس ومكة

أو كان الطاعون

ما قصدت ضحكات

رؤوس الأطفال المقطعة المكدسة في العواصم

صرختي تعرفها

ما قصدت النيل حين يخاف

ولا سر الطائر الأخير

في الغابة المشتعلة

ما قصدت حراس صاحب الجلالة

ولا الرجل الوسيم

بعض شؤون منصبه اقتياد العاشقين

إلى حبال المشانق.

.ما قصدت ساحات الأضرحة

وهي تتسع

ولا الحديد البارد

ولا الجدران الرطبة.

.وما تقصدت كنعان أو عدنان

ولا الخيول المكبلة شلها الهوان

ولا مشرط الأحزان

ولا صفرة الوديان

ولا غياب الفرسان عن الميدان

ما هم إن ولدت في حزيران

أو كان البحر والرمل مفترقان

أو حتى إن تسفك وتباع الأوطان

ما دامت الطواويس على عروشها.

محفوظة المكان

بلحظة

رأيت في الغسق وجهي يداورني

وسمعت في الفجر صوتي يحاورني

وعلمت في السر أن قبري يغادرني

ما زلت أقف على الهوة القاتلة

أحارب بحراً من الموت والشوق للحظة الفاصلة

وأحتاج إلى شجاعة الأطفال

لأرحل نحو البداية

ولكنني الآن

ما عدت طفلاً.

متاريس الملح

لا لون للعيد

والفرح يحلّق طيفاً

كهمس الحكايات

ويغفو مطراً بأهداب النوارس

لا طعم للعيد

والقلوب تنفطر نخلتين وماء

والضوء يتآكل من أطرافنا

مثل ابتسامات الصغار

وأنين الأحزان

لا عيد في العيد

الوقت المقتول يتحشرج

تنسل منه رعشات مقددة

فإلى أين الهروب والرؤى مضطربة

والخطى وهم

كخيط يلتف على عنق يمامة

يمتد الأحمر القاني

حين تُنحر الحناجر

ويغدو الموت عنوان

تمهّل أيها العيد

فخلف تلك الكروم البعيدة

يُحيك الضباب صلاتي الأخيرة

كُن فرحاً ودع الابتسام لي

كم أخشى أن ينتهي الحزن

وأنا جاثم فوق كلّ هذا الدبق

أشد كفّي على الأيادي الباردة

تحت ركام الجدران

يا عيد

أوراق الموت تشهق

عيون الفرح تزحف فوق العناكب

تقطف بهجة الحصاد

ووجه النهر يبتلع أحلام الصبايا

يا عيد

الفجر مهزوم

والصباحات معاول

وخطوي ريحاً سادية

تطوي المسافات

والخيل ظمآن

من يملك فرحاً؟

من يجرؤ على فتح هلالين وزهرة؟

من يقبض على السواد الرابض

في كل العواصم

من يجتاز متاريس الملح؟

العيد طائر دون أجنحة

هو القدر المستتر

حين يتجاور الذبح والصمت

في موت ثقيل كالرصاص

أيمكن للموت أن ينتظر

والحياة أن تتمدد؟

وتعود العصافير للأغصان.

محاكمة

أعلن القاضي محاكمة الأزهار
قد حملت النحل
جنيناً من سفاح

مدت الأغصان ظلها
لكل العابرين
هذه الخمر والأمر والرؤى
والبحر يمد جزره
خلف الجراح

من ملأ كؤوس الخمر
في التيجان
همس العطر أن المذنب
هي حبات اللقاح

سأل القاضي اللّيل

قال لا ذنب لي في عشق

ولم أسمع أنات الغرام

لكن الأمر وضاح

الحمل والغرام

أمر قديم فطري

يشبه ما يمس آخر اللّيل

من نور الصباح

انتفض القاضي متضرماً

بين أغصان دوحه ثمل

والشمس خجلة

صاح: اقبضوا عله

أعلن مقاضاة الفلّاح.

محراب الهلال

شارد في السراب

أزرع أهداب الأفق

في سنابل الرماد

أنا الغيمة تنسدل

من حكايات اللظى

والسماء حبلى بالغيظ

كلما استبد الطلق

نزفت دم أخضر

وهذا الليل الخريفي

دخان يضاجعه البرق

فيكشف جسده العاري

الذي يدثرنا

والسحاب قهر يتناسل شوك

تتلاشى حبّات المطر

في المسامات العطشى

فيرتعش البياض

على أغصان الماء

والرمل يتكسر

في موسم الهجرة

كان الميدان الخاوي

كمصباح ضوء واهن

يلطمني عواء الأسلاك

مثل موجة مطر

أمرٌ من دمي إلى دمي

فلا أصل

وأفر من تعبي إلى تعبي

ويتبعني الحصار

والجراح تحمل في حقائبها

ملامحي

بين شقيٌ الرحى تتكُر

كانوا يصطفون

أمام أبواب الوطن

يحملون رماد في العيون

يسامرون ظلهم الممتد

على ضفاف النهر

تعبر النسمات بهم

رسل للقلوب الواهنة

مشروخة الساعات

في أردية أحلامهم

وترابهم معجون

بالدموع المسافرة

كرمش الورد أزهر

أضم وجعين وأستلقي

في اللُّحظات المغلقة

تنشج عروس الحقول

قد جئتك طيراً

أضناه الرحيل

أمتطي صهوة الشوق

غريب إلّا من بياض

وخدر لذيذ

ترتفع يداي نحو الغيم

أحترق في ضوء النهار

التويت قل إن أرتمي

لم يكن في صدري

سوى رصاصتين

في الجانب الأيسر.

مخاض الريح

اليوم أطوي رمحي

وأنكر آخر بيعة

أفر من عار الانتماء

وأتشظى في حمى الطلاسم الأولى

لأبعث قلب حي

على خد الصباح

ينهار كل شيء

المدن والمقابر

الألقاب والخطايا

وتنشطر الأسفار

رباه

هذا العهر يتمختر

فوق الجراح

الآن غرق البحر

وعاث الذئب في الغنم

انتصر العفن على الثمر

أطوف في غيبوبتي

قبل الجنون

أشهق الحمم

يمزقني مخاض الرياح

يحتضر النور في قبضة البياض

ويُعرض السحاب عن الركام

يُساكن المطر الضرير

الرؤى الكسيحة

يلوك الجفاف وجه الرغيف

وتتشقُّق قسمات الأصوات

إن همت بالصياح

من يملك نبض البيدر

من يقايض ظمأ القلوب بالبخار الأصفر

من منكم رأى الدم السادر

في جبل الموت

أيها الآبق من لجُتي

منقسم مثل التأويل

لا حجة بيننا قبل الفلاح

اليوم أمتشق الشوك

وأعاقر موجي وحيداً عارياً

كالوتر في ظل الأضرحة

التراب التراب

فكيف أقبض على نافذة الموت

بعيون فارغة

خلف ارتعاش النواح.

مدن الجوع

كل الحكايات غرقى

على سعف الاحتضار

حين يئن الشفق

ويصلب الضياء

كان الصدى أرجوحة

وعورة بلا رداء

ربما كان الصراخ

أبعد من الوقت

والنبض أعتق من الأحلام

ربٌما ضاعت الحروف

أسوار من الصمت

كي لا تنمو الحكايات

في الذاكرة السوداء

حزينة تلك الأمسيات

صار الفرح عمر الفراشة

متعبة خطوات الذكرة

تلامس بيادر الأمسيات

تتعرّش في الدروب كالياسمين

تصعد إلى شرفة البكاء

الوافدون على غابات الصفصاف

إلى محيط ظلالهم

يتوارثون حتفهم

يسائلون جرح المنون

كيف الغيوم تكون

وكيف يكون الغيث

إن تاقت له المحاجر

تحت آهات التراب

رجاء

في مدن الجوع

سنابل لا تنمو ولا تبلع الأفواه

تفرُّ الأحلام والمواسم

نحو القبور

وتتكسّر الورود

من أول طعنة ذات مدينة

بيادر خالية

لا نبع ولا صبايا

يتراشقن الفرح

وينتظرن اللقاء

في مدن الجوع

أكف لا تذوب

يغريك ترابها

دموعها خضراء

خلف أسوارها سر غريب

هناك تهجر الطيور أعشاشها

عنوة دون مواسم

وعنوة دون مواسم

تعود دون نداء.

مصباح خافت

للعصافير نرجس يصدح

كلما رقّ الفجر

يقتسمونه الغرباء

نغماً نغماً

بأي لحن

يمكن أن تومض النجوم

ويلقي الشجر العاري ظلّه

حين تُعتقل الريح

فلا تسمعك القصائد

تئن الطرقات الجنوبية

كمومياء من الشمع

الأزرق

فتتسع العزلة

وتنام سعف النهار

حول عنق اللّيل

بأي حلم

يمكن أن تتردد صرخاتنا

حين نغادر النهر

إلى الروافد

أيهما أكثر سواداً

القبور أم الأوطان؟

حصادك في مواسم الشوك

يثمر خيبات

ووسادة نومك

تزهر صباراً

بأي عدل

تحلُق أوقاتنا

في المنافي ومواعيد الطائرات

تشاركنا قهوتنا

وتعبنا وتصبح

على فصول الهجرة

شاهد

قد أفشى الرمل

سر السراب
حين استوطن الموت
في الدروب الصحراوية
والأناشيد المنعزلة
وأضواء المدن الغامضة
تغشى الأرواح
بأوراق الظلام
حين يثمل اللّيل
ويمطر المدى
غارُ العائدين
ترفعه السواعد

ترتطم أجنحة القدر
بالأرصفة
تقرأ أهداب الحجر
وتبتكر ألواناً
لرائحة الغياب
وكآبة المساء الباهت
فتغفو ابتسامتي
في تعاقب الفصول

تضمحلُّ وتسقط

من الشرفات

ومن أطراف الكلام

وتهجرني الوسائد

بأي وجه

أعود وحدي

أمام بوابات المتاحف

وقليل من العشب الجاف

تطاردني أطيافهم

ومازلت صامد.

مفتاح الأسفار

توسدتُ أعتاب الأزقة

النوافذ يتيمة تغفو على أزهارها

قد رحل المكتوبون في آخر الطريق

وعادوا ورقاً أخضر

فأمهلوني أودّع القلوب الصغيرة

أنثر ما بقي من مواعيد

أيّها الساقط تحت الانشطار

من تراتيل التيه

طلاسم تختم سفر التكوين

يلعنها رعش الانبعاث الأول

هل لي بصلاة على جبينك؟

بقبلة أخيرة على خد الوجد

قدرك أن تمضي بلا عنوان

ترتديني السحب وتطوف على النوافذ

تظلّل العتبات

وتنسدل على المرابطين

نوراً من مطر يحرسها الشوك

لم أفقد المطر بعد

لكنُّي أين أضعت الريح؟

باطل هذا الوهم

كما أنت باطل

أيها المجهول

متى يُغرق البحر هذا الطوفان

اللُّيلة أكسر سيفي

وأمحو آخر بيعة

وأتشظى شمعاً أخضر

فوق الأكفان

أقايض خطايا قلبي بظمأ الطفولة

أرتشف ندى الهذيان

حتى الطقوس الأخيرة

تعبرني من المسامات

أرفع جرحي لحواف الوجع

أقرأ طقوس الجفاف

قد بلغ الدمع الحقول

وعاثت في الدماء السيوف

وأزهرت التوابيت بالنرجس الحزين

الدم موشوم على نحر الطين

طوفان هو لا يُبقي ولا يذر

يلطمني كف العجز

ويلفظني الحزن حمماً من بركان

بعض الوقت يأتي عارياً

كما الجراح براعم للغرباء

يقرع الدراويش طبول التعاويذ

يرسمون الرحمة بدم شاهق

تكايا الصعاليك تأسر ذات كشف

أنَّ الذبح منتصف اللُّعنة

يتلو الرهبان ترانيمهم

خلف صلاة الدراويش

لكنَّ الموت يحلُّق فوق الزيزفون

وتُساق الرجال

للنحر في يوم السبات كالحملان

ما لا يراه سواد البارود

قلب حي ينبض بعد الموت

يسقطون مضرجون بأحلامهم

في بهجة البياض

يشهقون حمماً

فتحترق قسمات أصواتهم

يجمعون دمهم

ما بين موت وموت

يراوغون الأفخاخ في اللّيل المرتبك

فليس في قبضاتهم

سوى حفنة من أوجاع قديمة

كالصلاة

يبتلعهم الرصيف ويلسعهم الهوان

في البدء كان البحر

كان الرمل بطعم البارود

وكان صراخ اللّيل مطرزاً بالشجن

شوقاً يطير عبقاً ويمطر ندى

لا تقتل هي الصرخة الأولى

قالوا

تعانقت الحجارة باكية

ومازالت شقيقاته عند قبره

طيور صحراوية

شاهدة على رحلة القتل

فكيف تضنو المواجع

والكلوم في اشتداد واحتداد

والمطر ظمآن

كم موبوء هذا البر

مدن مكتظة بالنعيق والمخاط

المدن أشباحاً

وحزن الأسوار موشوم دمعاً

حصاد المدينة حدٌ الرمق الأخير

طيور الغراب وسنابل الفجيعة

والدروب تشتعل بأصفادها

فمن يتلو تراتيل الملح

على الأجساد المسجّاة

كيف السبيل

والحزن بات أكبر من الدموع

لكُن الذاكرة جاثمة شاهدة كالبيان

الأسفار هنا والمفتاح يستجديه الظمأ

الوقت نزف من خاصرة السبيل

أمطر قاماتنا دمعاً

وتلاشى في جوف العجز

صبراً مولاي قد ترقد العتمة

فالجراح لا تدمن ملحها

منذ أن أسقيت لون الرٌيح

أطعمت الأحجار أضلعنا

وسرقت ضفائر النٌور من أعيادنا

فرش البياض موته والباب كفيف

هذا الدم بوابة العبور

هي الأوجاع يتداولها الناس

اذبح ما شئت قد حان ختام البتر

قد زُيّن لك أيها الشقي الشيطان.

مقام ليلي

سمعت حكايات الأولياء

ذات ليل طفولي

حتى داعب عيناي الكرى

فغفوت على أطراف أمي

غطتني بردائها

علّ الدفء يوقظ الرحمة

والأحلام تزهر

بعدها نمت يا جدُّتي

ورأيت كل الحكايات غرقى

على سعف الاحتضار

لا يشفع للكفن

أن أوراق الموت

خطىً تبتلع الجهات

فتتهاوى الأماني

مهراً للوجدان الحي

وتتعثر

ورأيت النحلة والوردة

ورأيت يا سيدي

الأطفال يعبرون المدينة

ينتفضون ثوباً بلا جسد

تحسبهم أحياء

وهم موتى

وفي الأفق الأزرق

حيث يرتعش الضوء

أسير معهم

بقلبي الأخضر

أجري نحو الليل

أهيم في التلال القريبة

مهلهل الأطراف

كالنورس الضائع

أرى أحلام الناس

ولا أهجع

كالموجة المجنونة

لا أهجع

ألوذ في جب الغبار

وأعتصم الكوثر

للصحراء في الغسق

رحم ينجب واحة

للصغار تنشطر الهضاب

فتصبح بين الأكفّ الناعمة

رغيف خبز ووردة

بين تلال الزنابق

يشق النارنج ويثمر

ذات مخاض

وقد هدّني السواد

وأثقلتني الفجيعة

أحضن قلبي وأنتفض معه

يطل على اللّيل قبل رحيله

يصرخ بي ضاحكا

أيها الحالم المجنون

هلا سهرت أكثر.

موال بارد

تتغير كل الأشياء

وتستوي الكروم كالغدير

في آخر الظلال

تظل صباحات فلسطين

لا تتبدل

تسقط في الشق

ولا تموت

تغرق في الدم

ولا تموت

يلتحم صدرها مع الحديد

ولا تموت

لأطفالها أراجيح

من ورق

تحاصرها الحدود

منذ مئة قرن

ترابها يدفن المسير

على بساط الكروم

والدروب تقضم

الوجوه الخائرة

فتتناثر أغانيهم

زهرة هنا وصرخة هناك

دون أن يموتوا

لكنٌ تاريخ القبيلة

يذبحهم على الساقية

آلاف المرٌات

كالأضاحي

من الأذن للأذن

بسم الله

ودمهم يتخثر

والصمت بئر موصود

دمهم يتأرجح

كحبال المشانق

ليسقط زهرة زعتر

ترعد على صليل

أوراق الدجى

مفارق القرون

مفرد هذا الدم

كالشهادة

بين همس الصلاة

وصخب الموت

فوق بيرق الخلود

في تلك الأرض

يا مولاي

يفرُّ الموت من الهلاك

ويغصُّ في خرابها

زبد القيامة

فمن أين تنتفض الشروخ

وكل بذر رهينة

صلبته أقدام الغزاة

هم أكبر من لحظة ركوع

وأصغر من لفحة الموت

في الفجر يا مولاي

يروي المؤذن

السبع العجاف

والناس سجود

في اللّيل

يعمّدون حكاياتهم

بذاكرة الزيتون

من أهداب المخاض

إلى آخر رقصة

فوق الركام

يقتسمون رائحة الجوع

فيوقظ الملح في الدمع

أصوات الغائبين

لكنهم لا يموتون

وسيظلّون شظية

بحجم الخنجر

في أعناقكم جميعاً

وستبقى دماءهم

أثر على بياضكم

إلى يوم الوعود.

موجة بكماء

بسطت العتمة ثوبها وأغلقت الأفق

والريح صافحت عواء الأسلاك

وحدهم الصغار يفترشون الأنقاض

أشباح صامتة تنوح

فوق جثث بلا عيون

الوقت خيل يضاجع البرق

وجند السلطان كالدم الفاسد ينتشرون

يطرقون الأرض بعيونهم

خشية انهيار السماء

في قصور الوالي سكر ولهو ومجون

في الحواري النساء بطعم الحسرة

في الميادين سواعد قد أثملها المقراع

وهي ترقص للسواد

واوراق الموت تشهق

في اللّيل تترنح الرؤوس

والسكينة واحة انكسار

وحين تستيقظ الغيلان تغمد السيوف

والنهار يموت لا مولى له

يا أحمد

هذه الأمة اغتالت ضميرها

فباعت الأنبياء

تجمع حشد المهلّلون وسجدوا

في حضرة الوالي كنسج العنكبوت

إلا الدراويش تاه بهم الزهو

تآبوا وتعالَوا وما سجدوا

يغسلهم الموت مرتين

كأنهم ينهضون من الرماد دون ملامح

يستلّون أنينهم

ويفرشون الساقية حطباً

يشبهون إطلالة الأضواء الأخيرة

تتكسر كل مساء

يزهر القهر الكامن على العفن الفطري

ويستبيح الوجع ظمأ العابرون

فيمطر المدى هامات الرجال

وعشاق الطريق بسطوا أكفٌ الدروب

لقامة الصدور وتلاشوا

يختمر الغضب بناصية الصمت

ويُدبر الصباح في ابتهالات الغيوم

فلا تجد منهم سوى موجة بكماء

وكثير من الخيبات في الأحشاء

في خلايا العَسف نفتش عن حزن يشبهنا

قد تطاول الفجور وانتشر

من يرجئ الموت لحظة؟

فمازال لي حلم جاف

وطفولة باردة كالرخام

في الظل الممتد على رماد الفجيعة

يركع العوسج للريح

يختال الجند في الممالك

أعود فلا أجد أحداً

بل برق أحمر يعدو بي

فلا أرى الوطن

لكني أراهم يلملمون حوائجهم

لربيع آت او لشتاء.

نوافذ موصدة

ذات ضباب

سقطت في باكورة الحصاد

بين قبتين

رصيناً كالصلاة

يأبى قلبي المغادرة

من أسر اللّحظة

إلى الطيف القزحي

كان قلبي كالمجرة

ربُما الكلمات قاتلة

ربما لم تعد

أكثر من هذيان

دعني أبدأ مرة أخرى

دون الغيمة والوردة

والحلم الوثني

هوامش ما بقي لنا

من الصراخ الجاف

في فوهة النهر

فعند تنهُدات المطر

تغفو الريح كالظلّ

على قامة الصراخ

وقلبي مازال

غصن من فضة

ينفطر أحزان

تتبعثر أثمار العمر

على أرصفة المدائن

إلّا واحدة في كف زرقاء

تعبر الهزيع الأخير

غير الفصول هي

غير العشاق هم

أزرع في عيون الصوت

عصافير من وحل

ألا يورق كلّ هذا الصراخ

في أخر اللّيل

بخدّ الغيم ريحان

أتأبط الشمع الطيني

وأتعرّى من لحمي

تعبر هوادج القتلى

ومواكب المحرومون

كأنهم منذورين في السهول

عروشاً ونعوش

يطعن الجوع أفواههم

وأقدامهم مكبّلة بالحديد

وعيون المشنوقين

كممرات الصلاة

على الريح المحترقة

يعشقون أوطانهم

التي ذبحتهم

فصار الحب لهم أكفان

أقطف عيناي

نوافذ للهاربين

من عروق الشرخ

أكبو حزناً

أستجدي وجهي

فتدوسني

حوافر الخيول

يا وطني

علُمتني أن أبحث

عن سرٌ عينيك

أن أشرٌع النوافذ

الموصدة فيك

أن أجعل من الغيم الداكن

قصائد للغرباء

إنك تحولني إلى سديم

يقتلني

وهذا المجهول

ينتفض في صدري

أين الهروب وأنت مني

كالعيون بالأجفان.

هجرة النوارس

مثل الطيور المهاجرة

لاتزال ممتدة في السفر

مثلما الرعشة تتوالى

بين انتفاضات الجسد

ينسل الحزن إلى أضلعي

في دجى اللّيل

يرتمي رأسي

على عنق الحبيبة

وأبكي

كل النوارس التي رحلت

إلى جزر الشمال

لتموت

قبل انبلاج الفجر

مثل جميع الراحلين

هجرتهم الموانئ

فظلوا غرباء

أجري وراء الطيور

كالشبح ألاحقها

فتبتلع الأرض

المساءات المكلومة

تتناسل كالصل الأرقط

فيغدو الرمل المنفي

ناياً في حريقي

وأنا الممتد اشتياقاً

أسفح عيناي

جسراً للصبر

تلوح لي كاللوزة البيضاء

بظل الحنطة

عند انعطاف الظلال

يجذبها هذيان الريح

تحاصرها الأسماك والحصى

كما يحاصر النخيل الجراد

قالت

قبِّلني لأموت

غزلت من غثاء الليل

لحداً

وأشعلت يداي

ابتهالاً

وعندما ارتدت الغبار

غثيان الشهقة الأخيرة

تجعّد وجه البحر

مثلما تولد الينابيع

في أوار الرمل

أجهشت الشمس

والنوافذ شامات ملوّنة

للمحاصرين

بين وشم المنجل

وكتف الموت

والتعاويذ أثداء من خشب

والضفائر عوسج

يرسمونها

حين يتنهد الصمت

في الفصل الأخير

قبل انسدال

مواسم السحر

تتلوى الدروب

كخارطة الوجع جوعاً

للراحلين

والحسرات بساط الخطو

ألقيت بقايا الصلق

على كتفي

أعبر الجزر

والكهوف المظلمة

أبحث عن يمامة بيضاء

تشدو

وعن شغف

يلوِّن عيناي بالرحيل

يزرعني جرحاً منهمراً

في حقائب السفر

متوثب أنا

وخلفي ألف معبد

وكفي منتد

على أجنحة النوارس

أتدلّى من وتر الماء

لأولد من جديد

قلت

لو لم أكن ماء

لتمنيت أن أكون ماء

قالت

لا أشتهي من الفصول

سوى القبر

قد ضاق بي حزني

فهل تأذنون لي الآن

بالبكاء

كما تبكي الينابيع

وتستيقظ في المطر.



المؤلف في سطور

حسن العاصي

باحث وكاتب وشاعر فلسطيني مقيم في الدنمارك

باحث في قضايا اللجوء في منظمة مساعدة اللاجئين الدنماركية

عضو اتحاد الصحفيينالدنماركيين

عضو اتحاد الكتاب والمؤلفين الدنماركيين

عضو الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين

عضو نقابة الصحفيين الفلسطينيين

عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب

عضو في جمعية الصداقة الفلسطينية الدانمركية

عضو في لجان حق العودة

باحث دكتوراه فيعلوم الإعلام

حاصل على ماجستير في الإعلام والصحافة

حاصل على بكالوريوس في الإعلام والصحافة

دبلوم دراسات فلسطينية

عضو هيئة تحرير مجلة الهدف الفلسطينية سابقاً

معد برامج ومذيع في راديو إدفاد في الدانمرك سابقاً

معد برامج سابقاً في تلفزيون كوبنهاغن

نشر مئات المقالات وعشرات الدراسات والأبحاث السياسية والفكرية والثقافية

أصدرخمسة:مجموعات شعر

ثرثرة في كانون/ الدار البيضاء 2008

خلف البياض/ دار جزيرة الورد للنشر، القاهرة 2014

أطياف تراوغ الظمأ /مؤسسة شمس للنشر، القاهرة 2016

امرأة من زعفران /مؤسسة شمس للدراسات، القاهرة 2017

درب الأراجيح مغلق/ دائرة الكتب الوطنية الدنماركية، كوبنهاغن 2020.

تحت الطبع:

- كتاب الأهداف الاستراتيجية للاختراق الصهيوني للقارة السمراء
- ديوان "أغمضت الغابة عشبها"

فاز بالمركز الأول في مسابقة السلام العالمي عن قصيدة النثر

شارك ضمن 40 شاعر عربي في كتاب أنثولوجيا الشعر العالمي الصادر في الولايات المتحدة في ابريل/نيسان 2018

حاز على عدة جوائز:

جائزة الإبداع الأدبي من مؤسسة الفكر للثقافة والإعلام/ العراق- كردستان

درع السلام الفائز الأول بقصيدة النثر/مؤسسة الفكر للثقافة والإعلام/ العراق- كردستان

وسام الأنتلجنسيا من مؤسسة أنتلجنسيا للثقافة والفكر الحر/ تونس

وسام العطاء الإبداعي مرتين عامي 2015- 2016/ مؤسسة الصدى للإعلام/ الولايات المتحدة

ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الإنجليزية والدانمركية والبلغارية

رقم الهاتف: 004526924292

الايميل: alassihassan1@gmail.com

الموقع الشخصي: https://cutt.us/6eaVp

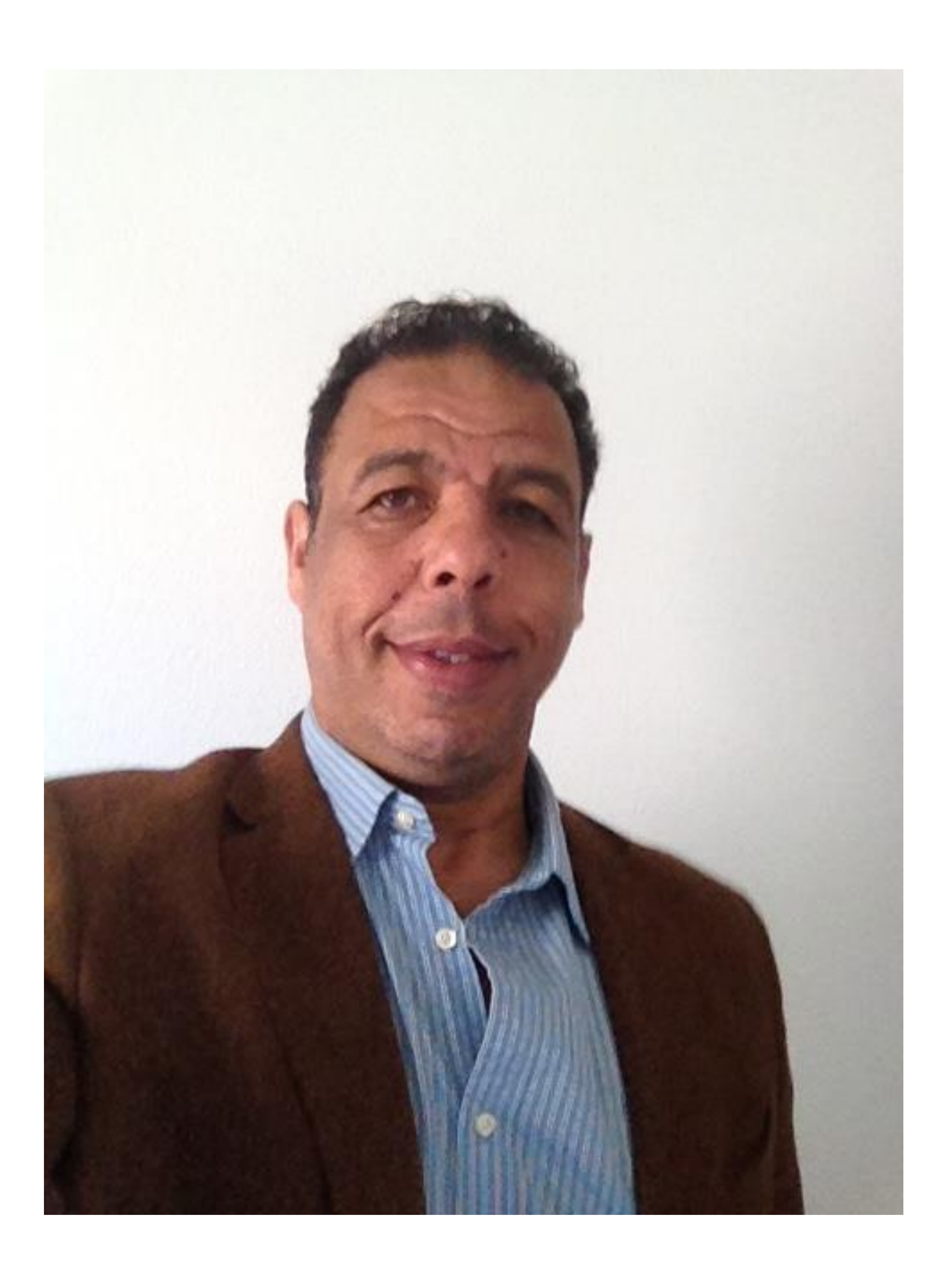
المحتويات

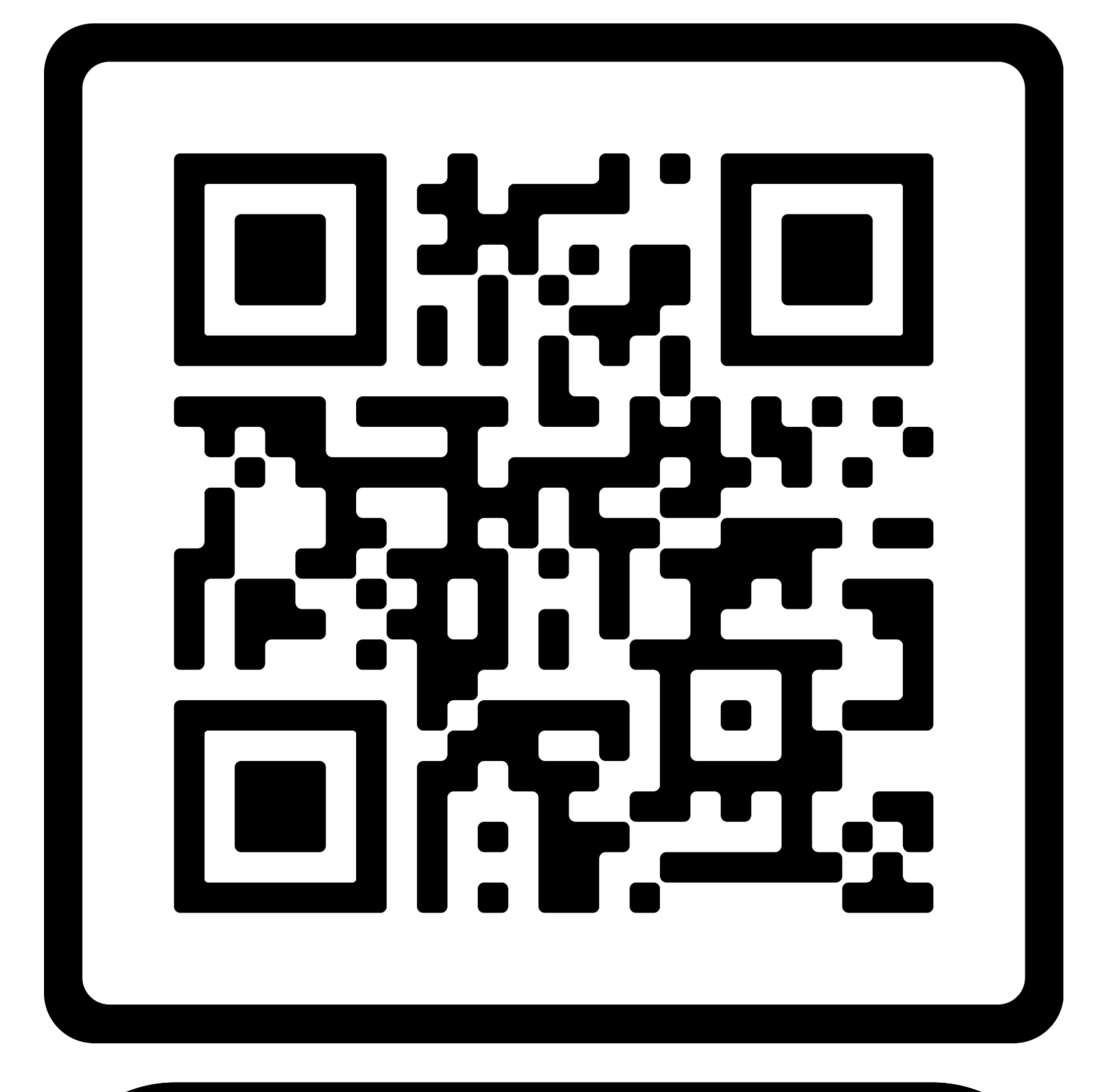
المحتويات

يصدر قريباً للمؤلف

1ـ كتاب أزمة العقل العربي وإشكاليته البنيوية.

2ـ كتاب الأهداف الاستراتيجية الصهيونية لاختراق القارة الأفريقية.





SCAN ME